أزاهر

دينية . ثقافية . اجتماعية

العدد ٩١ جمادى الآخر ١٤٤١ هـ / شباط ٢٠٢٠م

نشرة فصلية مجانية
تصدر عن أزهر البقاع



يا حكامنا..
أصحاب القرار!
متى ينتهي
مسلسل الإنهيار؟!



أزاهـــر

دينية ـ ثقافية ـ اجتماعية

مجلة فصلية مجانية تصدر عن أزهر البقاع، وهي مجلة شاملة ومنوعة، تعنى بالقضايا الدينية والثقافية والإجتماعية، يساهم في كتابتها مجموعة من أصحاب العلم والرأي الحر والفكر المستنير من لبنان والوطن العربي، قال تعالى: (قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لايعلمون) وبالاستناد إلى هذه الآية الكريمة وأمثالها أردنا أن تكون مجلة أزاهر (مدرسة للمتعلم وتذكرة للعالم) من أجل الرقي بالمستوى الثقافي والحضاري للقارئ الكريم، آملين أن تشارك المجلة في النهضة العلمية والفكرية لوطننا العربي وعالمنا الإسلامي، والله من وراء القصد.

Designed By : Fadi Zaarour / fadizarour1977@gmail.com - 76309245

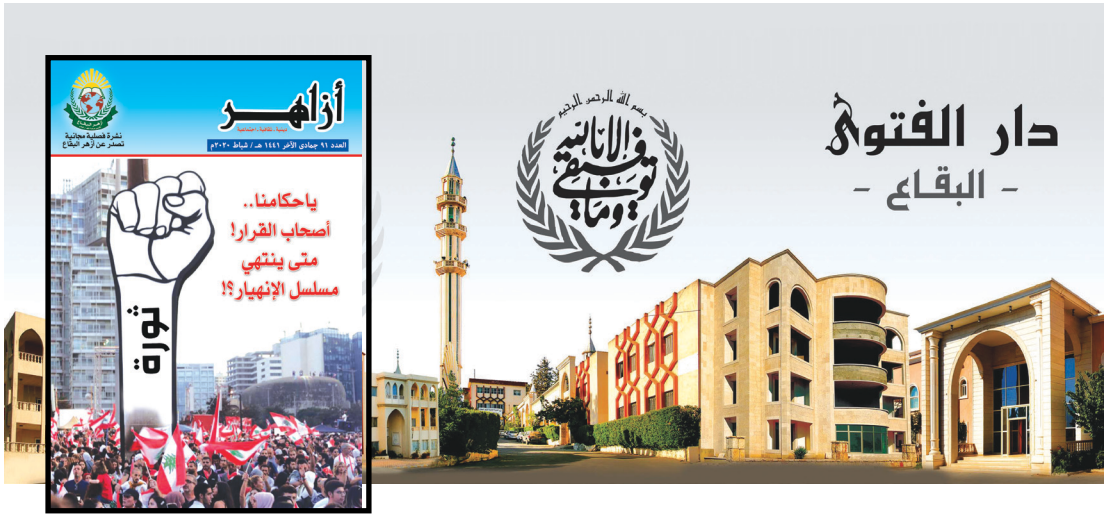
كلمة العدد

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، و أما بعد،

تأملنا خيراً بالحراك الشعبي اللبناني، الذي خرج يعلن مطالب المواطنين، و حاجتهم إلى وقف الفساد و وضع نهاية له، و محاسبة من قام به، و تسبب بنتائجه الضارة، و إعادة الأموال المنهوبة، و المهربة إلى الخارج، و إنقاذ الإقتصاد الوطني بعد أن تعرض للإنهيار، و غيرذلك من المظاهر السلبية التي جعلت لبنان يعاني من كارثة خطيرة تهدد الأمن الإجتماعي، و تجعل مصير الوطن في مهب الريح، و تصورنا إستقالة الحكومة خطوة أولى على طريق الإستجابة لطلبات الحراك الشعبي، و لكننا فوجئنا بالوزارة الجديدة، التي وصفها المتظاهرون بأنها (وزارة محاصصة طائفية بالوكالة)، و هذا التطور السياسي جعل الجميع يشعر بالإحباط و يحس بالأسف، و يظهر أن الطبقة السياسية المتنفذة و المستندة للقوة غير الشرعية، لا تعير أي أهمية لمطالب المتظاهرين، و لا تحترم الشعب، و لا يهمها المحافظة على مصالح الوطن، و نحن لا يسعنا إلاّ أن نحذّر من النتائج السلبية لإستمرارهذا الوضع الشاذ، الذي ينبيء بتطورات خطيرة على صعيد الداخل اللبناني، الأمر الذي سينعكس سلبيا على علاقات لبنان إقليمياً و دولياً، و ندعوا الجميع إلى التحلي بروح المسؤولية و الشعور الوطني و الإسراع لإستجابة مطالب الحراك الشعبي من أجل إنقاذ وطننا لبنان من الوضع الكارثي الذي حل به، و لم يعد محتملاً و لا مقبولاً من أحد، لا على الصعيد الداخلي و لا الإقليمي و لا الدولي، و في هذا السياق جاء عنوان الغلاف (يا حكامنا أصحاب القرار! متى ينتهي مسلسل الإنهيار؟)، و هو صرخة إستغاثة لمن يهمه الأمر!، و كتب سماحة مفتي زحلة و البقاع الشيخ خليل الميس مقاله ليلقي الضوء على أحد أهم أسباب الأزمة الحادة التي نعيشها اليوم، فجاء مقاله بعنوان (إحتكار المال و السلطة سبب الفساد و إنهيار العملة)، و هكذا إستطاع هذا العنوان وحده أن يظهر حقيقة الأزمة و يشخص أهم أسبابها، التي أوصلت لبنان إلى هذا الوضع المتداعي و الخطير للغاية، و في العدد كالعادة مقالات دينية و سياسية و أدبية و باقة أخرى متنوعة من مقالات مختلفة كتبها أساتذة أفاضل من لبنان و خارجه، نضعها بين أيدي الجميع، آملين أن تلقى العناية و الرضا من قراء مجلتنا أزاهر، و حتى نلتقيكم في عدد جديد، نترككم بحفظ الله، و السلام عليكم و رحمة الله و بركاته.

أسرة التحرير :
د.رعد مقبل العبيدي
د.نادر جميل جمعة
الشيخ مروان الميس

azahermagazine@yahoo.com 08 / 622 727
nader.jomaa12@yahoo.com 76 / 754 701
marwanmais38@yahoo.com 70 / 141 360



محتويات العدد

القول الفصل	أسرة التحرير
المدنية الإسلامية وتأثيرها بالاتجاه البشري	الندوي
تنجيم القرآن الجزء الثاني	د.صبحي الصالح
الاستشراق مصنع الامداد الفكري	د.عبد القادر غرة
الحركات الاسلامية بين التشدد والسلبية	د. رعد العبيدي
العهدة العمرية	د.نادر جميل جمعة
تعريف بمصطلحي القراءات المعرفية	د. قطب سانو
مسلمو الإيغور	د.حسام محي الدين
الشيخ وهبة الزحيلي والتقليد الفقهي	د.رضوان السيد
دور المسلمين اللبنانيين بعد انتفاضة تشرين	د.وائل نجم
إنها نهاية القرن الديموقراطي	أورنيلا سكر
الثورة واستخدام الشارع	د.مأمون طربية
لبنان في عين العاصفة	د.يوسف الورداني
انتفاضة العقول أم البطون	صفاء لولو
الصدق	د.علي أبو غنيم
الطفل الذكي	د.ربى الشعراني
في ذكرى سماحة المفتي د.أحمد اللدن	د.أسماء القادري
روائع الشعر العربي ..	ربى الفيحاء ... محمود حسن اسماعيل
قل ولا تقل	د.مصطفى جواد
الحوكمة	أ.كمال الدين العفش
صحة	د.يوسف قريشي
نترككم بحفظ الله	أسرة التحرير

٣ ٦ ١٠ ١٤ ١٦ ١٨ ٢٢ ٢٦ ٣٧ ٤٠ ٤٣ ٤٦ ٤٨ ٥١ ٥٣ ٥٥ ٥٦ ٦٠ ٦٢ ٦٣ ٦٥ ٦٦ ٦٨ ٧٠ ٧٢

القول الفصل:



إحتكار المال والسلطة سبب الفساد وإنهيار العملة

كتبه : سماحة مفتي زحلة و البقاع الشيخ خليل الميس

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده والصلاة على من لا نبي بعده، محمد وآله وصحبه، وأما بعد:

إن القرآن الكريم والسُنة النبوية المشرفة نور إلهي خالد، بما جاء فيهما من هداية للناس أجمعين، فلم يتركا موضوعاً يهم حياة المجتمع إلاّ وتناولاه بالتنظيم بما يحقق المصلحة العامة، ويحفظ حقوق المسلمين، فكان وما زال القرآن والسُنة منارتين لتقويم السلوك الإنساني، إنطلاقاً مما جاء في كتاب الله العزيز الذي وصفه سبحانه وتعالى بقوله:

(الر ۚ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ) (سورة إبراهيم - الآية ١)

وهكذا فمن إستمسك بالقرآن الكريم وبالسنة النبوية المشرفة فقد إستمسك بالعروة الوثقى، و من أعرض عنهما فقد ضل ضلالاً كبيراً، وبالإستناد إلى كتاب الله وسنة رسوله محمد صلى الله عليه وسلم يلتزم الفقهاء والعلماء بتذكير المسلمين بما يجب عليهم العمل بموجبه، عندما يواجهون قضية عامة مستجدة تعترض حياتهم اليومية، وخاصة إذا تسببت بآثار سلبية.

وعلى إثر ثورة الشعب اللبناني ومطالبته بإسترداد أمواله المنهوبة من قبل بعض المتنفذين، والدعوة إلى إنهاء عهد الفساد وإسقاط الظلم، فقد لا حظنا أن محاولة فرض ضرائب جديدة ومتزايدة كانت سبب إندلاع مظاهرات حاشدة من المواطنين، الذين شعروا بالإحباط من الوعود المتكررة من المسؤلين بشأن إزدهار الأوضاع الإقتصادية، ورفع مستوى المعيشة وتحسين الحياة اليومية، وبدلاً من إصدار القرارات التي ينتظرها الشعب بفارغ الصبر لتحقق الإزدهار الموعود، كانت المفاجأة بقرار فرض الضرائب الجديدة على قطاعات تهم المواطنين في حياتهم ومعاملاتهم الضرورية، فكان هذا القرار المجحف وكما يقول المثل العربي (القشة التي قصمت ظهر البعير)، وما حصل بعد ذلك معروف للجميع.

وهنا نود أن نلفت الإنتباه على أحد الأسباب التي أدت إلى سوء الأوضاع وإنهيار العملة اللبنانية في سوق العملات، وخسارة ما يقرب من ثلث قيمتها مقابل الدولار، الأمر الذي سبب إرباكاً شديداً للحياة الإقتصادية عامة وحياة المواطنين خاصة، وكانت نتائجه سلبية للغاية، فخفض قيمة الليرة اللبنانية تبعه إرتفاع أسعار البضائع كافة، وإذا كان هذا مقبولاً في حدود مقدار الإنخفاض الفعلي لليرة، إلاّ أن كثيرين وجدوا تغير قيمة العملة مناسبة للإستغلال والإثراء غير المشروع بمضاعفة الأسعار بصورة غير مقبولة، وبنسبة متصاعدة وكأنهم كانوا ينتظرون مثل هذه المناسبة لينتهزوها ويزيدوا من أرباحهم على حساب المواطن اللبناني، الذي أرهقته هذه المستجدات المؤسفة، ومن تسبب في هذا ينطبق عليه قول الشاعر :

بذا قضت الأيامُ ما بين أهلِها
مصائبُ قومٍ عندَ قومٍ فوائدُ

وهكذا تزايدت معاناة المواطن اللبناني، وإنعكس ذلك بصورة سلبية على حياة الأفراد والعوائل كافة، وفي محاولة لفهم سبب ما حصل، نلاحظ أن التنظيم الإقتصادي الدولي بعد الحرب العالمية الثانية، ونتيجة من إنتصار الولايات المتحدة الأمريكية في الحرب، فإنها أجبرت العالم على إعتماد العملة الأمريكية بدلاً من الذهب غطاءاً لعملات الدول كافة، وذلك بإلزام الدول على توقيع الإتفاقية التي أقرت بمدينة (برايتن وودز) الأمريكية وسميت بها، وصار وصف الدولارالعملة الصعبة، والدولة التي تحوزعلى كمية كبيرة منه تكون عملتها قوية وقيمتها مستقرة،

ومن سوء الحظ ونتيجة لنوع من عدم الإنضباط، وفقدان السيطرة على مدخرات العملة الصعبة في لبنان، تعرض الدولار للإحتكار من أكثر من جهة، وجرى التعامل به بلا ضوابط تحفظ لليرة اللبنانية قيمتها، وإستقرارها في سوق العملات، وكان إحتكار العملة بحجة حرية التعامل الإقتصادي، وزاد الطين بلة السماح في تحويل العملة الصعبة إلى الخارج، بلا أي رقابة بدعوى سرية العمل المصرفي، وهذا سمح ليس في تحويل العملة فحسب، بل في تهريبها والمضاربة فيها على حساب المصلحة العامة، من دون شعور بالمسؤلية الوطنية، وبلا رادع من ضمير إنساني، ولا إحساس بما ينجم عن ذلك من أزمة إقتصادية خانقة تهدد لبنان وشعبه. ولهذا نجد من الضروري بيان الموقف الشرعي من الإحتكار، خاصة وإن القرآن الكريم قد جاء فيه:(وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (٣٤) يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ) (سورة التوبة -٣٤-٣٥)

وغير ذلك من الآيات التي حذرت من كنز الأموال والإحتكار ، بل وجاءت آيات تؤكد ليس على وجوب الإمتناع عن الإحتكار ولكن دعت إلى الإنفاق على فقراء المسلمين ومحتاجيهم من ذلك قوله تعالى:

(والذين في أموالهم حق للسائل والمحروم) (سورة الذاريات-١٩).

وفي السنة النبوية المشرفة أثبت رواة الحديث حديث الرسول محمد صلى الله عليه وسلم:

(لا يحتكر إلا خاطيء)، و هناك إتفاق بين الفقهاء أن كلمة خاطيء تعني آثم، وكذلك ما روي عن معقل بن يسار قال: (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من دخل في شيء في أسعار المسلمين ليغليه عليهم كان حقاً على الله أن يقعده بعظم من النار يوم القيامة.)، و حديث (الجالب مرزوق و المحتكر ملعون)، وغير ذلك من الأحاديث النبوية الشريفة. وسنعرض باختصار موضوع الإحتكار بما يؤدي الغرض المقصود من الإشارة إليه والحديث عنه، و ذلك لأن الفقهاء المسلمين قد بحثوا الإحتكار باستفاضة، و لهم فيه آراء مهمة، و إتفق جمهور الفقهاء على أن الإحتكار محرم، و إستشهدوا بالآية الكريمة (كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنكُمْ) (الحشر -٧)، معتبرين أنها يمكن أن تكون سندا لتحريم الإحتكار، و إنفرد الحنفية بالقول أنه مكروه، و لكن الفقهاء أجمعوا كلهم على أنه عمل ضار و لا يجوز لمسلم أن يقوم به، و كلنا نعلم حديث رسولنا محمد صلى الله عليه و سلم (لا ضرر و لا ضرار)، الذي يُعد قاعدة شرعية مهمة و أساسية، وعندنا أفضل تعريف للإحتكار هو(حبس مال أو منفعة أو عمل، و الإمتناع عن بيعه حتى يغلو سعره غلاءاً فاحشاً غير معتاد، بسبب نقصه أو قلته أو إنعدام وجوده، مع شدة حاجة الناس أو الدولة إليه)، فتكون النتيجة الضرر بالناس و تضييق الحياة عليهم، إذن المناط هو الضرر الناتج بغض النظرعن الشيء المُحتكر، و من المؤكد أن تحريم الإحتكار جريمة إقتصادية بحق عموم المجتمع، و هي إنحراف عن نهج القرآن الكريم و تعاليم الرسول محمد صلى

الله عليه و سلم، و من الضروري الإشارة إلى أن الآيات القرآنية و الأحاديث النبوية التي منعت الإحتكار جاءت بصيغة مطلقة، و القاعدة الفقهية (أن المطلق يجري على إطلاقه ما لم يقم دليل التقييد نصاً أو دلالة)، و عليه فإن الإحتكار يكون في كل ما يضر الناس حبسه سواء أكان مالاً أم منفعة أم عملاً، و مما لاشك فيه أن منع الإحتكار من مستلزمات إقامة العدل الإجتماعي الذي يسعى الإسلام إلى إقامته، و يتوجب إتباع هذا النهج من قبل كل دولة تحافظ على مصالح مواطنيها، ومن المنطقي أن لا تترك إقامة العدل الإجتماعي على أهواء الأشخاص أياً كانوا، فمن المحتمل أن يغلبوا مصالحهم الخاصة و يتهاونوا في حق المجتمع و التنكر للعدل و الإنصاف، و هذا إن حدث ظلم محرم شرعاً، و على السلطات العامة واجب التدخل و إتخاذ كل الإجراءات اللازمة لحماية أفراد المجتمع من إحتكار المحتكرين، و وقف ضررهم و رفع أذاهم، و إعادة الثقة و الطمأنينة إلى نفوس المواطنين، و من المؤسف أننا نلاحظ تراجع دولتنا عن القيام بواجبها في هذا الخصوص، الأمر الذي أتاح الفرصة لظهور طبقة من الجشعين إستغلت الظروف و إحتكرت العملة الصعبة، و ضاربت بها و هربتها إلى الخارج بحجة الإقتصاد الحر، و سرية العمل المصرفي، الأمر الذي نتج عنه تأثيرات سلبية للغاية على النشاط الإقتصادي بصورة عامة، و إنعكس ذلك على حياة المواطنين اللبنانيين بصفة خاصة، و هذا مما يشكل خطورة كبيرة على أمن المجتمع عموماً، و على مداخيل الأفراد خصوصاً، حيث تبقى مصادر دخلهم أو مرتباتهم ثابتة ، و لكنها تفقد قيمتها الحقيقية إلى النصف أو أكثر، مما يؤدي إلى عجز الأفراد عن تلبية إحتياجاتهم، و متطلبات المعيشة اليومية لأسرهم، و هذه الحالة ستكون سبباً في إزدياد مظاهر الفساد و الرشوة و السرقة، و إنهيار أخلاقيات العمل، و ضعف روح الإنضباط في أداء الواجب وغيرها من الأمور السلبية أو غير المشروعة، ناهيك عن الغلاء أو ندرة البضائع، و إزدياد معدل البطالة بين أفراد المجتمع من القوى العاملة. و في المقابل فإن المواطن الذي يتمسك بالقيم الصحيحة و يؤدي واجبه بشرف، و يرفض الإنجرار إلى الإنحراف، فإنه سيعاني أكثر من غيره، و ربما يضطر هو و أفراد عائلته للعمل في أكثر من مهنة طوال يومه لكي يوفر القوت له و لعائلته. و في ظل الواقع اللبناني القائم حالياً نرى أنه من الضروري مواجهة الإحتكار بكل أنواعه و أياً كان القائمون به، و لابد من تدخل السلطات العامة لمراقبة التعامل بالعملة الصعبة من أجل حماية العملة الوطنية، و تثبيت قيمتها التي تستحقها فعلاً مقابل الدولار، و تشريع قوانين تمنع التلاعب بالعملة الأجنبية و المتاجرة بها و تهريبها إلى الخارج بحجة الحرية الإقتصادية، و سرية العمل المصرفي، فلا يجوز السماح بأن تكون ممارسة الحرية بلا ضوابط، مما يسبب و يخلق أزمات حادة للمجتمع اللبناني تهدد الأمن الإجتماعي، و حياة المواطنين، و تعكر صفو و إستقرار حياتهم الإجتماعية كما حصل الآن، و تجعل كل فرد في قلق و خوف دائمين، بينما تنفرد قلة من المتنفذين بحياة الرفاهية على حساب عموم المجتمع و المواطنين. هذا و إن الحديث عن أوضاعنا الحالية يذكرني بأبيات من قصيدة نظمها شاعرنا أحمد شوقي حيث قال:

أحرامٌ على بلابلهِ الدوح
حلالٌ للطِّير من كلِ جنسِ
كلُ دارٍ أحقُ بالأهلِ إلاّ
في خبثٍ من المذاهبِ رجسِ
وطني لو شغلتُ بالخُلدِ عنه
نازعتني إليه في الخلدِ نفسي
شهدَ اللهُ لم يغبْ عن جفوني
شخصهُ ساعةً و لم يخلُ حسّي
ألاَ هل بلّغت أللهم فاشهد!



الدنية الإسلامية وتأثيرها بالاتجاه البشري

بقلم: السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي

كان ظهور المدنية الإسلامية بروحها ومظاهرها وقيام الدولة الإسلامية بشكلها ونظامها في القرن الأول لهجرة محمد صلى الله عليه وسلم فصلاً جديداً في تاريخ الأديان والأخلاق، وظاهرة جديدة في عالم السياسة والاجتماع، انقلب به تيار المدنية، واتجهت به الدنيا اتجاهاً جديداً، فكانت الدعوة الإسلامية لم يزل يأتي بها الأنبياء ويبشر بها المبشرون ويجاهد في سبيلها المخلصون، ولكن لم يكن يتمكن دعاتها من إقامة حكومة قائمة على أساسها ومنهاجها متشبعة بمبادئها، ومن إقامة مدنية مطبوعة بطابعها مبنية على أحكامها مثل ما تمكنوا في هذه المرة، ولم تنل هذه الدعوة والجهود من النجاح في هذا السبيل مثل ما نالت أخيراً على يد محمد صلى الله عليه وسلم وخلفائه الراشدين، فكان هذا الفتح المبين للإسلام محنة جديدة للجاهلية لم تعهدها من قبل، ولم تعرف كيف تخرج منها، عهدها بها دعوة دينية روحية فإذا هي تصبح نجاة وسعادة وروحاً ومادة وحياة وقوة ومدنية واجتماعاً وحكومة وسياسة.

دين سائغ معقول كله حكمة وبداهة إزاء أوهام وخرافات وأساطير، وشرع إلهي و وحي سماوي إزاء أقيسة وتجارب إنسانية وتشريع بشري، ومدنية فاضلة قوية البنيان محكمة الأساس، يسود فيها روح التقوى والعفاف والأمانة وتقدر فيها الأخلاق الفاضلة فوق المال والجاه، والروح فوق المظاهر الجوفاء، يتساوى الناس فلا يتفاضلون إلا بالتقوى، ويهتم الناس بالآخرة فتصبح النفوس مطمئنة والقلوب خاشعة، ويقل التنافس في أسباب هذه الحياة والتكالب على حطام الدنيا ويقل التباغض والتشاحن، كل ذلك إزاء مدنية صاخبة مضطربة متناحرة متداعية البنيان ومتزلزلة الأركان، يظلم الكبير فيها الصغير، ويأكل القوي فيها الضعيف، ويتسابقون في اللهو والفجور، يتنافسون في الجاه والأموال وأسباب الترف والنعيم، (ولنذيقنهم من العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر لعلهم يرجعون).

حكومة عادلة تساوي بين رعيتها وتأخذ للضعيف من القوي، وتحرس للناس أخلاقهم كما تحرس لهم بيوتهم وأموالهم، وتحفظ عليهم دماءهم وأعراضهم، خيارهم أمراؤهم، وأزهدهم في العيش أملكهم لأسبابه وأقدرهم عليه، إزاء حكومة عم فيها الجور والعسف، وتواضع رجالها على الخيانة والظلم، وتسابق أهلها في أكل أموال الناس وهتك أعراضهم وسفك دمائهم، تفسد على الناس أخلاقهم بما تضرب لهم مثلاً بأخلاقها، شرارهم أمراؤهم وملوكهم، تشبع دوابهم وكلابهم وتجوع رعيتهم، وتكسى بيوتهم ويعرى الناس.

فأصبح الناس لا يجدون عائقاً عن الإسلام، ولا يواجهون صعوبة وعنتاً في سبيل قبول الإسلام، ولا يرون للجاهلية مرجحاً ومصلحة، ويدخل الرجل في الإسلام فلا يخسر شيئاً ولا يفقد شيئاً ويجد برد اليقين وحلاوة الإيمان وعزة الإسلام ودولة قوية يعتز بها وأنصاراً يفدونه بأرواحهم وأنفسهم، ونفساً مطمئنة وثقة في الحياة بعد الموت، وصارت أرض الجاهلية تنتقص من أطرافها، وكلمة الإسلام تعلو وظله يمتد، حتى ارتفعت الفتنة وكان الدين لله.



وكان تأثير هذا الانقلاب عظيماً جليلاً، فكان الطريق إلى الله من قبل في دولة الجاهلية وغربة الإسلام شاقاً عسيراً محفوفاً بالأخطار، فأصبح الآن سهلاً يسيراً آمناً مسلوكاً، وكان يصعب على الإنسان في الوسط الجاهلي أن يطيع الله، فصعب عليه في الوسط الإسلامي أن يعصي الله، وكانت أسباب سخط الله وعصيانه مكشوفة موفورة فعادت نادرة مستوردة، وكانت الدعوة إلى الله في أرض الله جريمة قد ترتكب سراً وخفية، فأصبحت جهراً وعلانية وحرة آمنة لا تلقى معارضة ذات بال، ولا يخاف أصحابها اضطهاداً في سبيل العقيدة وأذى في سبيل الدين الجديد (تخافون أن يتخطفكم الناس فآواكم وأيدكم بنصره ورزقكم من الطيبات) وأصبح أصحابها يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، يأمرون وينهون بمعنى الكلمة.

صارت طباع الناس وعقولهم تتغير وتتأثر بالإسلام من حيث يشعرون ومن حيث لا يشعرون، كما تتأثر طبيعة الإنسان والنبات في فصل الربيع، وبدأت القلوب العاصية الجافة ترق وتخشع، وبدأت مبادىء الإسلام وحقائقه تتسرب إلى أعماق النفوس وتتغلغل في الأحشاء، وبدأت قيمة الأشياء تتغير في عيون الناس والموازين القديمة تتحول وتخلفها الموازين الجديدة، وأصبحت الجاهلية حركة رجعية كان من الجمود والغباوة المحافظة عليها، وصار الإسلام شيئاً راقياً عصرياً كان من الظرف والكياسة الانتساب إليه والظهور بمظاهره، وكانت الأمم بل كانت الأرض تدنو رويداً رويداً إلى الإسلام، يظهر ذلك في فلسفتهم وفي دينهم وفي أدبهم وفي مدنيتهم، وتشف عن ذلك بواطنهم وضمائرهم، وتنم عنه الحركات الإصلاحية التي ظهرت فيهم حتى بعد انحطاط المسلمين.

جاء الإسلام بالتوحيد ونعى على الوثنية والشرك، فهان الشرك منذ ذلك اليوم في عيون أهله وصغر، وصار أهله يخجلون منه ويتبرأون منه ولا يقرون به، بعدما كانوا يجتهدون في إظهاره ويستميتون في الدفاع عنه، وأصبح أهل

كل دين يؤولون ما في نظامهم الديني من شرك أو مظاهر شرك ووثنية ورسومها وتقاليدها ويلوون بذلك ألسنتهم، ويجتهدون في التعبير عنه وشرحه بما يقرب إلى التوحيد الإسلامي ويشبهه.

يقول الأستاذ أحمد أمين: «ظهر بين النصارى نزعات يظهر فيها أثر الإسلام؛ من ذلك أنه في القرن الثامن الميلادي أي في القرنين الثاني والثالث الهجريين ظهرت في سبتمانيا (مقاطعة فرنسية على البحر المتوسط) حركة تدعو إلى إنكار الاعتراف أمام القسس، وأن ليس للقسس حق في ذلك، وأن يضرع الإنسان إلى الله وحده في غفران ما ارتكب من إثم، والإسلام ليس له قسيسون ورهبان وأحبار، فطبيعي أن لا يكون فيه اعتراف».

وكذلك قامت حركة تدعو إلى تحطيم الصور والتماثيل الدينية، ذلك أنه في القرن الثامن والتاسع للميلاد أو القرن الثالث والرابع الهجري، ظهر مذهب نصراني يرفض تقديس الصور والتماثيل، فقد أصدر الإمبراطور الروماني «ليو» الثالث أمراً سنة ٧٢٦م يحرم فيه تقديس الصور والتماثيل، وأصدر أمراً آخر سنة ٧٣٠م يعد الإتيان بهذا وثنية، وكذلك كان قسطنطين الخامس وليو الرابع، على حين كان البابا جريجوري الثاني والثالث وجرمانيوس بطريرك القسطنطينية والإمبراطورة إيربني من مؤيدي عبادة الصور، وجرى بين الطائفتين نزاع شديد لا محل لتفصيله، وكل ما نريد أن نذكره أن بعض المؤرخين يذكرون أن الدعوة إلى نبذ الصور والتماثيل كانت متأثرة بالإسلام، ويقولون إن كليوديوس أسقف تورين والذي كان يحرق الصور والصلبان وينهى عن عبادتها في أسقفيته، ولد وربي في الأندلس الإسلامية. وكراهية الإسلام للتماثيل والصور معروفة، روى البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت: قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم من سفره، وقد سترت سهوة (نافذة بين دارين) لي بقرام(ستر) فيه تماثيل، فلما رآه هتكه، وتلون وجهه، وقال: يا عائشة أشد الناس عذاباً يوم القيامة الذين يضاهون بخلق الله، قالت: فقطعناه فجعلنا منه وسادة أو وسادتين»، والأحاديث في هذا الباب مستفيضة.

وكذلك وجدت طائفة من النصارى شرحت عقيدة التثليث بما يقرب من الوحدانية وأنكرت ألوهية المسيح عليه السلام. ويمكن لمن يطالع تاريخ أوروبا الديني وتاريخ الكنيسة النصرانية أن يتلمس تأثير الإسلام العقلي في نزعات المصلحين والثائرين على النظام الأسقفي السائد، أما دعوة «لوثر» الإصلاحية الكبيرة، فقد كانت على علاتها أبرز مظهر للتأثر بالإسلام وبعض عقائده كما اعترف المؤرخون. وترى كذلك تأثيراً للعقلية الإسلامية والشريعة الإسلامية بأخلاق الأمم اجتماعها وتشريعها في أوروبا النصرانية وفي الهند الوثنية بعد الفتح الإسلامي، تراه وتلمسه في الاتجاه إلى التوحيد ونزعات الاحترام للمرأة وحقوقها والاعتراف بمبدأ المساواة بين طبقات البشر، إلى غير ذلك مما سبق إليه الإسلام وامتازت منه شريعته ومدنيته.

يقول الباحث الهندي المعروف بانكير سفير الهند في مصر سابقاً، وهو يتحدث عن تأثير عقيدة التوحيد الإسلامية بعقلية الشعب الهندي وديانته. من الواضح المقرر أن تأثير الإسلام بالديانة الهندكية كان عميقاً في هذا العهد الإسلامي، إن فكرة عبادة الله في الهنادك مدينة للإسلام، إن قادة الفكر والدين في هذا العصر

وإن سموا آلهتهم بأسماء شتى قد دعوا إلى عبادة الله، وصرحوا بأن الإله واحد، وهو يستحق العبادة، ومنه تطلب النجاة و السعادة، وقد ظهر هذا التأثير في الديانات والدعوات التي ظهرت في الهند في العهد الإسلامي كديانة (بهاجتي) ودعوة (كبير).



ويقول رئيس وزراء الهند جواهر لال نهرو في كتابه «إكتشاف الهند»:»إن دخول الغزاة الذين جاءوا من شمال غرب الهند ودخول الإسلام له أهمية كبيرة في تاريخ الهند، إنه قد فضح الفساد الذي كان قد انتشر في المجتمع الهندوكي، إنه قد أظهر انقسام الطبقات واللمس المنبوذ، وحب الاعتزال عن العالم الذي كانت تعيش فيه الهند، إن نظرية الأخوة الإسلامية والمساواة التي كان المسلمون يؤمنون بها ويعيشون فيها، أثرت في أذهان الهندوس تأثيراً عميقاً، وكان أكثر خضوعاً لهذا التأثير البؤساء الذين حرم عليهم المجتمع الهندي المساواة والتمتع بالحقوق الإنسانية.

ويقول كاتب عصري فاضل وهو مهاتا في كتابه (الحضارة الهندية والإسلام):(إن الإسلام قد حمل إلى الهند مشعلاً من نور قد انجلت به الظلمات التي كانت تغشى الحياة الإنسانية في عصر مالت فيه المدنيات القديمة إلى الانحطاط وأصبحت الغايات الفاضلة معتقدات فكرية، لقد كانت فتوح الإسلام في عالم الأفكار أوسع وأعظم منها في حقل السياسة، شأنه في الأقطار الأخرى، لقد كان من سوء الحظ أن ظل تاريخ الإسلام في هذا القطر الهندي مرتبطاً بالحكومة، فبقيت حقيقة الإسلام في حجاب، وبقيت هباته وأياديه الجميلة مختفية عن الأنظار).

ولا يستطيع دين من الأديان ومدنية من المدنيات تعيش في العالم المتمدن المعمور أن تدعى أنها لم تتأثر بالإسلام والمسلمين في قليل ولا كثير. يقول روبرت بريفولت في كتابه (صناعة الإنسانية):»ما من ناحية من نواحي تقدم أوروبا إلاّ وللحضارة الإسلامية فيها فضل كبير وآثار حاسمة لها تأثير كبير».

ويقول في موضع آخر:
(لم تكن العلوم الطبيعية (التي يرجع الفضل فيها إلى العرب) هي التي أعادت أوروبا إلى الحياة، ولكن الحضارة الإسلامية قد أثرت في حياة أوروبا تأثيرات كبيرة ومتنوعة منذ أرسلت أشعتها إلى أوروبا». فلو جرت الأمور هكذا وتمتعت الأمم الإنسانية بقيادة الجماعة التي خلقت بقيادتها وأعطيت القوس باريها، وجرت المياه في مجاريها، لكان العالم الإنساني تاريخ غير التاريخ الذي نقرأه حافلاً بالزلازل والنكبات ناطقاً بطول بلاء الإنسانية ومحنها، لكان له تاريخ مجيد جميل يغتبط به كل إنسان ويقر عيناً، ولكن جرت الأقدار بغير ذلك، وبدأ الانحطاط في المسلمين أنفسهم.



تنجيم القرآن الكريم وأسراره. الجزء الثاني

كتابة: د. صبحي الصالح(رحمه الله)
أستاذ جامعي

ولو استمر اضطهاد المشركين لرسول الله صلى الله عليه و سلم وانقطع عنه الوحي المثبت لقلبه، فلم يتجدد نزول الآيات المسلية له، لشعر عليه السلام بما يشعر به البشر في هذه الحالات من استيلاء الحزن على قلبه، واستبداد اليأس بنفسه. والله لم ينهه عن الحزن والحسرات وبخع النفس وضيق الصدر -كما رأينا- إلا لأنه بشر مثل سائر البشر، في طبيعته استعداد لجميع هذه الانفعالات النفسية. وقد إنتبه على هذا المعنى السيد رشيد رضا في تفسير قوله تعالى:(ولقد كذبت رسل من قبلك، فصبروا على ما كذبوا وأوذوا حتى أتاهم نصرنا)[١]

فقال: و الاية تسلية للرسول صلى الله عليه و سلم بعد تسلية، وإرشاد إلى سنته تعالى في الرسل والأمم، أو هي تذكير بهذه السنة وما تتضمنه من حسن الاسوة إذ لم تكن هذه الآية أول ما نزل في هذا المعنى»، ثم زاد هذه الفكرة وضوحاً بقوله:»و لولا أن دفع الأسى بالأسى من مقتضى الطبع البشري لما ظهرت حكمة تكرار التسلية بأمثال هذه الآية، فإن النبي صلى الله عليه و سلم كان يتلو القرآن في الصلاة ولا سيما صلاة الليل، فربما يقرأ السورة ولا يعود إليها إلاّ بعد أيام يفرغ فيها من قراءة ما نزل من سائر السور، فاحتيج إلى تكرار تسليته و أمره بالصبر المرة بعد المرة، لأن الحزن والأسف اللذين كانا يعرضان له صلى الله عليه و سلم من شأنهما أن يتكررا بتكرر سببهما وبتذكره عند تلاوة الآيات الواردة في بيان حال الكفار ومحاجتهم و إنذارهم»[٢]

والصورة الثانية لتجاوب الوحي مع الرسول صلى الله تعالى عليه و سلم هي تيسير حفظ القرآن الكريم عليه. و من العلماء من يرى أن «تثبيت فؤاده» المذكور في آية الفرقان السابقة لا يراد منه إلا جمع القرآن حفظاً في قلبه «فإنه عليه الصلاة و السلام كان أمياً لا يقرأ و لا يكتب، ففرق عليه ليسير عليه حفظه، بخلاف غيره من الأنبياء، فإنه كان كاتباً قارئاً، فيمكنه حفظ الجميع إذا نزل جملة»[٣]

و قد أراد ابن فورك(المتكلم و الأصولي) أن يزيد هذا الأمر تفصيلاً و بياناً، فقال:»قيل: أنزلت التوراة جملة، لأنها نزلت على نبي يقرأ ويكتب (وهو موسى) أنزل القرآن مفرقاً لأنه أنزل غير مكتوب على نبي أمي». وأما تجاوب الوحي مع المؤمنين على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ففي القرآن منه صور متنوعة، وألوان متباينة، تلتقي كلها عند غاية واحدة: وهي رعاية حال المخاطبين، وتلبية حاجاتهم في مجتمعهم الجديد الآخذ في الازدهار، وعدم مفاجأتهم بتشريعات وعادات وأخلاق لا عهد لهم بمثلها. وقد أشار إلى هذا مكي بن أبي طالب حموش في كتابه «الناسخ والمنسوخ» حين لاحظ أن نزول القرآن «أدعى إلى قبوله إذا نزل على التدريج، بخلاف ما لو نزل جملة واحدة، فإنه كان ينفر من قبوله كثير من الناس لكثرة ما فيه من الفرائض والمناهي.

ويوضح ذلك ما أخرجه البخاري عن عائشة رضي الله عنها قالت: إنما نزل أول ما نزل منه سورة من المفصل فيها ذكر الجنة والنار، حتى إذا ثاب الناس إلى الإسلام نزل الحلال والحرام، ولو نزل أول شيء «لا تشربوا الخمر» لقالوا: لا ندع الخمر أبداً، ولو نزل «لا تزنوا» لقالوا لا ندع الزنا أبداً».[٤]

وظاهر كلام السيدة عائشة رضي الله عنها في قولها هذا أنها جمعت بين تحريم الخمر وتحريم الزنا بالتدريج، فيخيل إلى السامع أن تحريم الزنا لم يتم إلاّ بالتدريج كالخمر، وليس ذلك بصحيح ولا هو مراد أم المؤمنين، فإنها رضي الله عنها كانت تعلم أن الزنا حرم دفعة واحدة، في خطوة واحدة جازمة بمثل قوله تعالى (ولا تقربوا الزنا، إنه كان فاحشة وساء سبيلاً)[٥]

وإنما أرادت الصديقة بيان أوائل ما نزل من القرآن، وأن تلك الأوائل ما كانت بمقتضى حكمة الله تعالى لتتناول الحلال والحرام، بل تناولت أصول الإيمان بالله واليوم الآخر. فعدم تحريم الزنا في أول ما نزل من الوحي لا يعني أن هذا التحريم تأخر كثيراً، إذ وقع تحريمه في مكة على كل حال، وهو لا يعني تدرج هذا التحريم على مراحل، إذ لم نعلم في كتاب الله ولا سنة رسوله إثبات منفعة للزنا إلى جانب إثمه الكبير كما علمناه في تحريم الخمر والميسر، ولم نر لوناً من ألوان الزنا والسفاح يقر في الإسلام بأية صورة، وإنما الذي عرفناه أن الإسلام أمضى أمره بتحريم الزنا بأسلوب صارم ولهجة قاطعة، كما حرم سائر الفواحش ما ظهر منها وما بطن، والإثم والبغي بغير الحق.

وما من ريب في أن الإسلام فرق بين الأعماق والسطحيات في أنفس الأفراد والمجتمعات، فكل قضية عميقة الجذور في نفس الفرد اتخذت شكل عادة شعورية وكل قضية عميقة الجذور في نفس المجتمع اتخذت شكل تقليد اجتماعي أو عرف دولي، فللإسلام فيها موقف المتمهل المتريث الذي يؤمن بأن البطء مع التنظيم خير من العجلة مع الفوضى! وكل قضية سطحية تنزلق إلى نفس الفرد أو إلى نفس الجماعة فتفسد عليها فطرتها الزكية، فهي جريمة في الحياة الإنسانية لا يجوز السكوت عنها، فليقطع الإسلام فيها برأيه، ولتكن حدوده فيها غير قابلة للنقاش، فما يناقش في أمر هذه الحدود إلا الخارج على مقتضى الفطرة، المنسلخ من الكرامة الإنسانية.[٦]

وفي ضوء هذه التفرقة بين الأعماق والسطحيات في الأنفس والآفاق، وفي الأفراد والمجتمعات، نظر الإسلام إلى القتل والسرقة والغصب وأكل أموال الناس بالباطل ومختلف ضروب الغش في المعاملات نظرته إلى الزنا، فحرمها مرة واحدة تحريماً قاطعاً لا تساهل فيه.

وإذا صح التعبير عن تحريم أكثر هذه الأشياء إنما ورد في الكتاب متأخراً، وأن أكثرها وقع تحريمه في المدينة بعد هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم إليها، فلا يصح القول (على وجه الإطلاق والإعمام) بتدرج التحريم في هذه الشؤون: فكما حرم الله الزنا في لهجة قاطعة،فقال: (ولا تقربوا الزنا إنه كان فاحشة وساء سبيلاً) الإسراء/٣٢، حرم القتل في خطوة جازمة فقال: (ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم خالداً فيها، وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذاباً عظيماً) النساء/٩٣، وحرم السرقة يوم قضت حكمته أن يعبر عن تحريمها في أسلوب صارم فقال: (والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاءً بما كسبا نكالاً من الله) المائدة/٣٨.

وبمثل هذه الصرامة حرم اغتصاب أموال الناس بغير حق فقال: (ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها إلى الحكام لتأكلوا فريقاً من أموال الناس بالإثم وأنتم تعلمون) البقرة/١٨٨. وكل لون من ألوان الغش في المعاملات إنما جاء تحريمه في الكتاب بهذه الصيغ الجازمة، فإن لم

يكن في الكتاب ففي السنة المطهرة. والإسلام مهما بدا حريصاً على تدرج التشريع وتنجيم النوازل القرآنية لا يسمح قط في الخلط بين تأخير البيان لوقت الحاجة وبين تدرج التشريع، فلقد أخر الله بيان أحكام كثيرة من حلال وحرام، ومن أوامر ونواه، ولكنه حين أراد بيانها أمضى أمره فيها مرة واحدة، ولم يدع فيها للتدرج مجالاً، وعلم المؤمنين بهذا سرعة الاستجابة للأوامر الدينية وأعدهم به لتحمل التكاليف الشرعية: ففي أول أمرهم كلفهم بالصلاة والصدقة والصيام، إلا أن الصلاة كانت في البداية صلاة مطلقة بالغداة والعشي، فما فرضت عليهم بعددها في اليوم والليلة وركعاتها وأشكالها إلا قبل الهجرة بسنة. وعرف المسلمون في أول أمرهم أنواعاً من الصدقة والصيام ولكن مقادير الزكاة وشروط الصيام لم تفرض إلا بعد الهجرة بسنة، فهذا كله من مرانة الإسلام ويسره وسماحته، إذ قال الله تعالى (وما جعل عليكم في الدين من حرج) الحج/٧٨، وقال (يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر) البقرة/١٨٥، فما يريد الله أن يشق على عباده وإنما يأخذهم بالرفق، وينهاهم عن كثرة السؤال لئلا يبدو لهم ما يكرهون من جديد التكاليف: (يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم وإن تسألوا عنها حين ينزل القرآن تبد لكم عفا الله عنها) المائدة/١٠١. وقارن بأسباب النزول للواحدي-ص- ١٥٧.

وإذا سلك هذا كله في باب «تأخير البيان لوقت الحاجة» ولم يكن من التدريج في شيء، فإن انطباق هذا الحكم على السطحيات المنزلقة إلى أنفس الأفراد أو إلى أنفس المجتمعات أولى وأجدر. ومن هنا لم يدع داع إلى التدرج في تحريم الزنا ولا القتل ولا السرقة ولا أكل أموال الناس بالباطل. إنما يكون التدرج في النوازل القرآنية إذن في مثل الخمر والميسر من العادات الشعورية أو الأمراض النفسية، وفي مثل استرقاق الأسرى من التقاليد الاجتماعية والأعراف الدولية. وحسبنا على سبيل المثال أن نمر مروراً خاطفاً بالتحريم القرآني المتدرج للعادة الشعورية الخطيرة المسماة «بإدمان المسكرات»، فقد نزل في أمرها أول ما نزل قوله تعالى (يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس وإثمهما أكبر من نفعهما) البقرة/٢١٩، فوجه أنظار السكارى إلى أن الحرمة إنما تقوم على غلبة الشر، فمهما يكن في الخمر من منافع اقتصادية في المتاجرة بها، ومن منافع ظاهرية في حمرة الخد التي توهم الصحة الحسنة، ومن منافع اجتماعية فيما تدفع إليه من السخاء والجود في حالة السكر والعربدة، أو من الشجاعة التي تبلغ أحياناً حد التهور في ساحة الحرب، فإن إثمها أكبر من نفعها، فتلك علة كافية لتحريمها. فكانت الخطوة الأولى تحريكاً للمنطق التشريعي في نفوس المسلمين، ثم تبعتها الخطوة الثانية بقوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون) النساء/٤٣، فضيق عليهم الفرصة لمزاولة السكر، لأن الصلوات الخمس كانت قد شرعت في أوقات متقاربة لا يكفي ما بينها للإفاقة من نشوة الخمر. حتى إذا أصبحت فرص السكر نادرة بطبيعة الحال حرم الله عليهم الخمر في لهجة قاطعة جازمة فقال (يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون) المائدة/٩١، فقالوا: انتهينا، وانتهوا حقيقة، وأصبحوا ينتظرون حدود الله في شارب الخمر، ويخجلون أن يصل الأمر بأحد المسلمين إلى أن تقام عليه هذه الحدود!.

وهكذا تدرج الوحي مع النبي يربيه ويعلمه ويهديه حتى «كان خلقه القرآن» كما تقول السيدة

عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها، وتدرج في تربية المؤمنين، فلم يزين قلوبهم بحلية الإيمان الصادق، والعبادة الخالصة، والخلق السمح، إلا بعد أن مهد لذلك بتقبيح تقاليدهم الباطلة وعقائدهم الفاسدة شيئا فشيئا، وساعدهم نزوله المنجم على حفظ آياته في الصدور، كما قوى من عزائمهم في الشدائد، فكان دستور حياتهم علماً وعملاً، وكان المدرسة الصالحة التي جعلت منهم رجالاً وأبطالاً. ولعل ابن عباس في قوله:»نزله جبريل بجواب كلام العباد وأعمالهم»[٧]

عند تفسيره قوله تعالى (ولا يأتونك بمَثَلٍ إلاّ جئناك بالحق) الفرقان/٣٣، إنما كان يومىء إلى هذا النوع من التربية السامية التي أتاحها للمؤمنين نزول كتابهم منجماً بحسب الحاجة، متدرجاً مع الوقائع والأحداث. أراد القرآن مثلاً (على الصعيد التربوي) أن يحطم العصبية الجاهلية الرعناء، وأن يستبدل التقوى بتفاخرها بالآباء، فمهد لذلك برفع العبيد الأرقاء إلى مقام السادة الأحرار: إن بلالاً الحبشي الأسود ليرقى ظهر الكعبة ويؤذن يوم الفتح، فيقول المشركون مستنكرين (أهذا العبد الأسود يؤذن على ظهر الكعبة)؟! فتنزل على قلب النبي آية تضع الموازين القسط للأشخاص والقيم والأشياء (يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر و أنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير) الحجرات/١٣.

وعلى الصعيد الاجتماعي، أراد الإسلام أن يحفظ على هذه الأمة اعتدالها وتوازنها، وأن يجعلها وسطاً في عقائدها وأخلاقها، وعباداتها ومعاملاتها، فمهد لذلك بتصحيح مقاييسها ودعوتها إلى ما يحييها. فلما اتفقت جماعة من الصحابة على «أن يجبوا أنفسهم، ويعتزلوا النساء، ولا يأكلوا لحماً ولا دسماً، ويلبسوا المسوح، ولا يأكلوا من الطعام إلا قوتاً، ويسيحوا في الأرض كهيئة الرهبان» أنزل الله لتقويم هذا الانحراف عن دواعي الفطرة قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين) المائدة/٨٧. ومن عجائب الإيحاء التعبيري في القرآن أن انحراف أولئك الصحابة شبه في الآية بالاعتداء والعدوان!. أما الصعيد النفسي فيكاد القرآن فيه يخاطب كل نفس على حدة، متناولاً بنظرته الشاملة أسرارها كلها وخفاياها، وإنما نجتزىء هنا بتنزل قرآني واحد على سبيل المثال: لقد كلف الله تعالى الصحابة الأولين ضروب المشقات وألوانها فتحملوها مختارين، ولكنه في آية واحدة حمل عليهم إصراً كبيراً، وحملهم ما لا طاقة لهم به، حتى جثوا على ركبهم دهشة وذهولاً، حين أنزل قوله الكريم: (وإن تبدو ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله) البقرة/٢٨٤. فعجبوا كيف يحاسبهم الله على ما همت به أنفسهم ولم يعملوه، وأتوا رسول الله يقولون: قد أنزل الله عليك هذه الآية ولا نطيقها! وإذا الوحي يتنزل بالتخفيف والتيسير، ويعلن مبدأه السمح الصريح: (لا يكلف الله نفساً إلا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت) البقرة/٢٨٦.

وبعد ... لئن كان تصوير الوحي لشخص الرسول دليلاً وجدانياً على صدقه عليه السلام، لعمري إنه في تدرج نزوله برهان منطقي دامغ على أن هذا الكتاب المجيد كلام الله العليم الحكيم، أنزله على رسوله هدى وموعظة وتبياناً لكل شيء.

[١] سورة الأنعام، الآية ٣٤..
[٢] تفسير المنار، ٣٧٧/٧-٣٧٨.
[٣] البرهان، ٢٣١/١.
[٤] صحيح البخاري، ١٨٥/٦.
[٥] الإسراء، ٣٢.
[٦] قارن بظلال القرآن، ٦٠/٢-٦١.
[٧] أخرجه الطبراني والبزار من وجه، وابن أبي حاتم من وجه آخر.



الاستشراق مصنع إمداد فكري لمواد الغزو الثقافي

بقلم: الدكتور عبد القادر بن عزة
جامعة تلمسان في الجزائر

يخطىء من يعتقد أن كتابات المستشرقين على اختلاف ألسنتهم إنما تكتب على سبيل القصد إلى المتلقي العربي، فلم يطمح يوماً أي مستشرق أن تحمل أعماله توجهاً أو تعليماً لأبناء المسلمين، فقصارى ما رامه هؤلاء أن يقدموا تماثلات هذه الثقافة إلى أقوامهم، ولكن حدث عندنا أن أصبحت كتبهم التي نفخوا فيها كثيراً من سمومهم، مرجعاً لعلماء وأدباء الأمة، يعتمدون عليها، وموئلاً يدافعون عنه، ومنبعاً يرتوون منه، فحاولوا بذلك إقامة أعمدة هذا الصرح على إنتاج هؤلاء المستشرقين، فسقطوا، وأردفوا معهم أجيالاً مازالت تشعر بالضياع والأكثر منه الإستلاب الحضاري.

لكن أصوات أحرار هذه الأمة لم تخفت لحظة عن الإشارة والتنبيه على حقيقة جذور الظاهرة التي قدمت المدد للمستعمر والعمالة الثقافية لأصحاب التنصير وأدوات الغزو الثقافي لتحطيم معالم العقيدة، وإحداث تصدعات في الأعمدة الأساسية للشخصية الإسلامية الحضارية التاريخية. وما كثرة المراكز الدراسية المهتمة بشؤون الدراسات الشرقية المختصة بالعالم الإسلامي إلاّ دليلاً قاطعاً على تتبع صناع القرار في الغرب المسيحي ما يجري عندنا لتحليله ودراسته ومحاولة موازنته بالأصول الثقافية التاريخية والمنابع العقيدية لتبنى على أسسه خططا ثقافية واستراتيجيات اجتماعية.



المصنع الفكري الاستشراقي بين الإنتاج والإمداد

و قدرت بعض الدوائر العلمية عدد الأبحاث التي قدمها المستشرقون من مطلع القرن التاسع عشر إلى منتصف القرن العشرين بنحو ٦٠ ألف كتاب مست جوانب التاريخ الإسلامي على وجه الخصوص، فيما لامست الدراسات الأخرى جانب العقائد والمذاهب الفقهية والسيرة النبوية والأدب والفكر، وقد أرجع عبد العظيم محمود الديب القصد من وراء هذا التوجه إلى تحقيق هدفين:

الأول منهما: حماية الإنسان الغربي من أن يرى حقيقة نور الإسلام، فكانت طرقهم في ذلك، محاولة تبشيع صورة الإسلام وأهله، فكان الخوف من الإسلام و العداء له يهيمن على حركة الاستشراق منذ نشأتها، فعمل المستشرقون على

توجيه وتعبئة أتباع الكنيسة، ووضعهم تحت الملاحظة دائماً.

ثانيهما: دراسة الشرق جغرافياً وثقافياً، لتجلية ما خفي من أمر المسلمين من عادات، ومعاش، وطرائق التفكير، وخصائص الحياة وغيرها من الجوانب التي رأى فيها المستشرقون المنافذ الحقيقية لاختراق جسم الأمة الإسلامية «فكان المستشرقون جند المسيحية الشمالية الذين وهبوا أنفسهم للجهاد الأكبر، ووضعوا لأنفسهم أن يظلوا مغمورين في حياة بدت تعج بالحركة والغنى والصيت الذائع، وحبسوا أنفسهم بين الجدران وراء أكداس من الكتب، مكتوبة بلسان غير لسان أممهم التي ينتمون إليها، وفي قلوبهم كل اللهيب المضني، الذي في قلب أوروبا، والذي أحدثته فجيعة سقوط القسطنطينية في حوزة الإسلام.

فالزحف الصليبي على ديار الإسلام، أريد له أن يسير على بصيرة من أجل تحقيق أهدافه الكبرى، فكانت مهمة المستشرقين العمل على التعرف على بلاد الإسلام، بعد الوصول إليها، وتقديم الدراسة بعد الدراسة، حتى شملت مناحي الحياة جميعها، ونؤكد هذا الطرح بما نقله محمد قطب عن لسان أحد المستشرقين (روبرت بين) في مقدمة لكتابه (السيف المقدس) حيث قال:»إن لدينا أسباباً قوية لدراسة العرب، والتعرف على طريقتهم، فقد غزوا الدنيا كلها من قبل وقد يفعلونها مرة ثانية، إن النار التي أشعلها محمد لا تزال تشتعل بقوة، وهناك ألف سبب للاعتقاد بأنها شعلة غير قابلة للانطفاء».

ومن المصنع نفسه يستعمل الأمير الإيطالي (كايتاني) قبيل المد الاستعماري أن يجهز على نفقته الخاصة قوافل عدة لترتاد المناطق الإسلامية لرسمها جغرافيا ودراستها بشرياً وثقافياً ليبيضها في الأخير في صفحات تسعة مجلدات عنونها بـــ (حوليات الإسلام) التي يستفتحها بقوله:»إنه إنما يريد بهذا العمل أن يفهم سر هيبة الديانة الإسلامية التي انتزعت من الدين المسيحي ملايين الأتباع في شتى أنحاء الأرض، ما يزالون حتى اليوم يؤمنون برسالة محمد، ويدينون به نبياً ورسولاً».

فهذا إعلان رسمي، مصدره نظرة ترسم هدفها بدقة، ولا تريد أن تُـخطّئه، والبداية عنده معرفة سر قوة هذا الإسلام والعمل بعدها على تقويض قوائم هذه القوة واحدة تلو الأخرى، وهذا «روجي غارودي» لا يخرج على هذا الاستنتاج حينما يعلن أن الاستشراق لم يكن حركة نزيهة منذ البداية إذ كان الهدف منه تنفيذ مشروع يرمي إلى إدخال المسلمين إلى النصرانية.

معاول هدم لا بناء

أشرنا في توطئة البحث إلى نقطة نخالها مهمة تمثلت بكتابات المستشرقين المختلفة، الموجه أصلاً إلى المتلقي في الغرب لتعريفه بنمط تفكير أهل حضارة الشرق، فتاريخ البشرية قاطبة لا يذكر أن رجلاً غريباً عن أمة ما صار مسموع الكلمة في طرحه لتفاصيل التوجه الثقافي والأدبي لتلك الأمة، فلا نعرف أن رجلا من خارج الثقافة الفرنسية أو الإنجليزية أو الألمانية صار مسموع الكلمة عندهم حتى يعد من مصادرها ومراجعها المعول عليها ويدين له من تلك الثقافات العلماء والأدباء بالطاعة والإتباع، فتفخيم المستشرقين من قبلنا ظاهرة شاذة، نبتت مع الأسف عندنا، و بالغنا بها حتى أصبح المستشرق يتبوأ منصب الأستاذية في أكبر جامعاتنا ويقدم الدرس تلو الدرس عن الدراسات الإسلامية والتاريخ الإسلامي والأدب العربي.

ولتكتمل خيوط الدائرة في عمل هؤلاء، تكفل عدد من أبناء هذه الأمة بمواصلة الإمداد من مصنع المستشرقين، ونفثه في صفحات كتبهم وجرائدهم وهذا علي حسين عبد القادر



يقول وبالحرف الواحد لطلابه في الأزهر:»إني سأدرس لكم تاريخ التشريع الإسلامي، لكن على طريق علمية، لا عهد للأزهر بها وإني أعترف لكم بأني تعلمت في الأزهر قرابة أربعة عشر عاماً، فلم أفهم الإسلام، ولكني فهمت الإسلام حين دراستي في ألمانيا...». وكان يقدم درسه نقلاً عن كتاب دراسات إسلامية للمستشرق اليهودي و الصهيوني «جولد تسهير» المجري الأصل ، بحيث ينقل عنه عبارات وفقرات فيقدمها على أنها حقائق علمية صحيحة. ويؤكد عبد العظيم محمود الديب على أن رأس البلاء في قضية الاستشراق هو ذلك الوضع المقلوب العجيب الغريب ويعني اعتماد بني جلدتنا على أبحاثهم وعلومهم التي كتبت أصلاً للمثقف الأوروبي لا العلماء العرب، فسبب القضية من أساسها هو وجود هذا الوضع المقلوب، لولاه لما كان للاستشراق قضية عندنا أصلاً، فمعاول الهدم بدأت صناعتها بداخل ورشاتهم، لتجد اعدادا من الأدباء العرب و الباحثين من يعمل بها ويرسخها في تربة الثقافة العربية الإسلامية و خاصة في جانبها التاريخي والديني. والعجيب هو اعتماد أبناء أمتنا على كتابات المستشرقين في دراستهم، وأبحاثهم، وأعجب من هذا اتخاذهم أساتذة نجلس منهم مجلس التلميذ، ونأخذ عنهم العلم فيما يختص بتاريخنا، ومجتمعنا بل وديننا ولغتنا».

وظهور حقيقة الإستشراق لم تكن ممكنة من قبل، علما انه قد مرّ على المسيحيين في أوروبا حين من الدهر كانوا يشدون فيه الرحال إلى الأندلس، ليتعلموا كتابهم المقدس، من عند علماء الإسلام في بلاد الأندلس، أما الآن وبعد تدشين مصنع الاستشراق أصبحت المواد المصنوعة فيه والموزعة في بلاد الإسلام على الرغم من انتهاء مدة صلاحيتها – تعلم أبناء المسلمين- فتخبرهم عن تاريخ آبائهم وأجدادهم، وتعلمهم تفاصيل لغتهم، ودروب دينهم، حتى أصبحنا نستورد من الغرب من يدرسنا معالم تاريخنا الإسلامي، في حين ان الغربيين قوم لا يسمحون لغيرأتباع دينهم بأن يتدخل فيما يتعلق بدينهم وتاريخهم ولو في أتفه الأمور.

ولم تكن هذه الطيورالمستشرقة تطير في سمائنا وحدها، بل وجدت من أبناء الأمة

الإسلامية من يطير خلفها بل يغرد مثلها حتى صار بعض العرب و المسلمين من يقوم بتسويق البضاعة الاستشراقية إلينا و يروج لها، و خاصة في مجال الدراسات التاريخية، لأن دراية المستشرقين بحقائق الأمور أحالتهم على أهمية التركيز في الجوانب التاريخية للعالم الإسلامي، فهو لا يشكل الماضي فقط، بل هو علم الحاضر والنظر إلى المستقبل.

فبقاء الأمة واستمرارها مرهون بمدى إثبات الحياة لضميرها التاريخي والعمل الدؤوب من أجل تركه دائم الاستيقاظ لأنه يمثل من جهة أخرى عرض هذه الأمة وقد صدق أحمد شوقي حين قال:

مثلُ القومِ أضاعوا تأريخهم
كلقيطِ عيّ في الحي انتسابا

وقد ذكرت كثير من الصحف ومنها «الأهرام المصرية» خبر تأزم العلاقة بين اليابان والصين عام ١٩٨٢ بسبب أسطر في كتاب من كتب تاريخ اليابان المدرسية، أراد اليابانيون أن يغيروها، فهددت الصين بشن حرب وبدأت في حشد جيوشها على الحدود بين البلدين.

وأصل الدرس أنه بعد هزيمة اليابان في الحرب العالمية الثانية ودخول الجنرال الأميركي (ماكرتثي) طوكيو المستسلمة، لم يشغله زهو الانتصار عن التفكير بمنطق المستقبل، فأرسل يستدعي من أمريكا بعثة تربوية تشرف على وضع برنامج جديد لمناهج التربية في اليابان لتضمن صياغة أجيال جديدة غير قادرة على إشعال فتيل الحرب من جديد، فكان عمل بعض اليابانيين على محاولة تغيير هذه المناهج، فنشبت خيوط الأزمة، وقول المفكر مالك بن نبي يختزل كل خيوط النظرة إلى التاريخ مع الأزمة المشار إليها حينما قال : «إن نظرتنا إلى التاريخ لا تؤدي إلى نتائج نظرية فحسب، بل إلى نتائج تطبيقية تتصل بسلوكنا في الحياة، فهي تحدد مواقفنا أمام الأحداث وبالتالي أمام المشكلات التي تنجم عنها».

أما مغالطات المستشرقين اتجاه تاريخنا، فقد حملها الشاطىء كالزبد، لأنهم أدركوا أن التاريخ الإسلامي هو في واقع الأمر الإسلام مطبقاً ومنفذاً، فتشويهه يؤدي إلى تشويه الإسلام وقد اعتمدوا في ذلك على مناهج وطرق وزنوا بها إنتاجهم فجاءت بضاعتهم بخسة في ميزانها من جانبين اثنين:

أولا : التاريخ بين المنهج و الشكل

إهتمامهم بتاريخ الفرق الإسلامية و تثبيت الصراع بينها، و التركيز في عوامل نشأتها، و محاولة الإشارة إلى أخبارها بوضعها في بؤرة الشعور لدى الأمة الإسلامية، و إظهار الإسلام ليس واحدا، بل مجرد فرق مختلفة و متشاحنة لكل منها دينه الخاص به، و الشواهد على ذلك كثيرة من ذلك ما خطته يد المستشرق (الفريد بيل) تحت عنوان الفرق الإسلامية في شمال أفريقيا من الفتح العربي حتى اليوم، الذي قدم له د.عبد الرحمن بدوي حيث يتحدث عن الكتاب قائلا: هذه دراسة في تاريخ الإسلام و الفرق الإسلامية في الشمال الأفريقي، منذ الفتح العربي إلى اليوم تمتاز من غزارة المادة و سعة الآفق و الإستناد إلى المصادر الوثيقة على الرغم من ندرتها في هذا الباب...ثم يستطرد مشيدا بالقول : و مؤلف الكتاب (الفرد بيل) من خيرة الباحثين الذين توفروا على دراسة الشمال الأفريقي، و إستلزم ذلك أن يُعنى بدراسة الآثار...و كانت أول دراسة علمية نشرها في ميدان الدراسات الإسلامية عن (الجزية) سنة ١٩٠٢م، و قد نشرت في المجلات العلمية الإستشراقية، و في دائرة المعارف الإسلامية ...و كان قد عزم على

أن يتبعه بمجلد ثان يحلل فيه مضمون الإسلام. هذا(الفرد بيل) الذي قدمه د.عبد الرحمن بدوي على أنه من خيرة الباحثين في كتابه يفتتح الفصل الثاني المعنون بـ(الفتح العربي و قيام الإسلام السُني)، بعنوان هامشي هو (أسباب نجاح الغزاة العرب في الشمال الإفريقي) فيرجع أسباب هذا النجاح إلى نقطتين إثنتين:

الأولى: تنظيم الجماعات العربية البدوية الفقيرة تحت لواء الإسلام .

الثانية: الضعف السياسي والحربي والاجتماعي الّذي أصاب الدول المجاورة للجزيرة العربية .

فهو لا يتوانى عن وصف الفتوحات الإسلامية بـ»الغزو العربي» عبر سطور كتابه، لينفث الكثير من سمومه حينما يأتي على ذكر القبائل البربرية والعربية، فيضع لها تقسيما عجيبا حيث يفكك أواصر العلاقة بين البطون والأسر، مهما بلغت من قوة عوامل التواصل بين أفراد هذه الجماعات المسلمة، فالإشارة إلى الطبقة التي مقتها الإسلام (تقسيم القبلية إلى أشراف وغير أشراف، وعبيد...)، لدلالة واضحة على عدم صدق الرجل في منهجه وخطته الشكلية التي اقترحها في بداية تأليفه للكتاب. وللتأكيد على عمل المستشرقين لتثبيت الشكل المنهجي نفسه لكتاباتهم التي تصيب الأمة في كبدها و هويتها.

و مثال آخر يقدمه «حنا الفاخوري» في كتابه (تاريخ الأدب العربي) الدراسات الاستشراقية على أنها من بين أهم عوامل النهضة العربية الحديثة وهو كتاب منهجي يُدرس في المدارس الثانوية في بعض الأقطار العربية، حيث تبدأ بلورة الشخصية الفردية للطالب و تتضح بشكل جلي لتشكل ملامح الشخصية الوطنية الجمعية، و في مؤلفه هذا يقول حنا الفاخوري: من أكبر العوامل في إحياء الآداب العربية اشتراك الأجانب أنفسهم في درسها ونشر كتبها... واشتدت تلك الحركة لانصراف الكثيرين إلى دراسة اللّغات السامية لأجل التعمق في فهم التوراة، ويستشهد «حنا الفاخوري» برأي عمر الدسوقي في عمل المستشرقين الذي هو الآخر يقول: تفرغ المستشرقون للبحث، ومنحتهم أممهم الوقت والمال ووضعت تحت أيديهم المكاتب العامرة بالأبحاث والمخطوطات النادرة، وكلّهم يعرفون عدة لغات غربية وشرقية، فكان من الطبيعي أن تتسم آثارهم بميزة التحقيق والمثابرة، والاطلاع، والموازنة، ومراجعة الأصول والمخطوطات. وهذه حسنة من حسناتهم . وامتدت خيوط هذه المغالطة المنهجية إلى كتابات بعض أدبائنا الذين قدموا الشيء الكثير للدراسات الأدبية وتاريخ الأدب العربي، واقتنعوا بضرورة تقسيم تطور الأدب العربي في مساره التاريخي إلى عصور وحقب زمانية على شاكلة ما قام به المستشرقون، فهذا عزّ الدين إسماعيل يذكر العصر العباسي ، بأنه عصر معقد بالغ التعقيد، ومتداخل في الوقت نفسه تداخلا مذهلا وفي بعض الأحيان مربكا، فكل الصراعات تمثلت بإطار الدولة العباسية منذ بدايتها، قد ظلت مستمرة حتى نهايتها، تخف وطأة بعضها حينا و تشتد حينا أو ترجع لغة أحد الطرفين... لكن عنصر الاستمرار يظل هو السمة البارزة للعصر كلّه...» .وتشير كثير من الدراسات الإسلامية إلى اهتمام المستشرقين بتاريخ الزندقة وسيرة الزنادقة، ومحاولة إبرازهم في صورة أصحاب الفكر الحر، والأمثلة منتشرة بكثرة في ثنايا كتبهم «فهنري كربان» يعيش حياته مع السهروردي المقتول



رفيق عمره على حد تعبير د.عبد الرحمن بدوي فيدرس كتبه ويترجم رسائله، ويحقق وينشر مؤلفاته فكأنما وقع على كنز، وزع محتواه فيما بعد على أسنة أقلام المثقفين المعاصرين. لكن جوهر القضية يكمن في معاصرة السهروردي للحروب الصليبية، وقتل في زمن صلاح الدين الأيوبي قاهر الصليبيين ومحرر ديار المسلمين، فوجد «كوربان» في مقتل السهروردي مادة دسمة للانتقام من «صلاح الدين» فهذا الّذي قهر الصليبيين هو نفسه قاتل «السهروردي» قهرا للرأي، و وأدا لحرية الفكر وعليكم أن تختاروا بين قهر الفكر وقهر الصليبيين، فلما راجت الفكرة، التقطها سلامة موسى فواصل المهمة قائلا:

«ويجب أن لا ننسى أن السهروردي قتل بأمر صلاح الدين الأيوبي، فقد كان رجلا كرديا غير مثقف، واستطاع الفقهاء أن يؤثروا به، ويزينوا له قتل السهروردي...»، وهكذا كان المنهج الاستشراقي في تقديم التراث الإسلامي والشخصيات الإسلامية التي حافظت على استقامة كيانه، واستمرار حياته .

ثانيا: المنهج بين استكمال الشروط والتزام القواعد :

الظاهر من وراء كتابات المستشرقين عن التاريخ الإسلامي أهدافا مسطرة آنفا، فبحوثهم تبدأ بتنفيذ غاية و الوصول إلى تحقيق نتيجة يجب الوصول إليها مقدما، إلى جانب عدم التخلص من الأهواء والنزعات وعدم التجرد للبحث لنزيه، فنرى الواحد منهم في كتاباته يقوم بكل جهد ودأب وإستقصاء من أجل تنحية ما يهدم فكرته ويكذب رأيه، فيخفي ويطمس ويتجاهل كل ما يسوقه من نتيجة غير التي حددها سلفا، لذلك تأتي تلك الأبحاث وعليها مسحة العناء والإستقصاء لكنه عناء الالتواء و يعلق الأستاذ محمود شاكر بقوله: أما الأهواء، فهي الداء المبير والشر المستطير والفساد الأكبر إن هو ألمّ بأي عمل إلمامة خفيفة الدبيب، حتى ولو جاءك هذا العمل في أحسن ثيابه...». وهذه الصورة المقلوبة منهجيا، عمل المستشرقون لتقديمها على أنها أحسن طريقة للتحليل و التعامل مع التراث العربي و الإسلامي، فأدى سعيهم هذا إلى صرف أنظارنا عن المناهج الإسلامية

الأصيلة في مختلف العلوم عن طريق ما بثوه من أفكارعن تلك المناهج في تعاملهم مع تراثنا، فالألماني «روزنسال» في كتابه (مناهج العلماء المسلمين في البحث العلمي)» يركز في جهود ابن جماعة (القرن ٧ هـ) في كتابه (تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم) إلى جانب جهود عبد الباسط العلموي (القرن١٠ هـ) في كتابة (المعبد في أدب المفيد والمستفيد) ليخلص إلى انعدام المنهج عند العلماء المسلمين، ولم يقتصر الأمر على المنهج بمفهومه العام، بل سعى الرجل إلى نفيه حتى في أبرز الميادين التي إعتد بها المسلمون، وفي مقدمتها المنهج في النقد الأدبي الذي نعته بالقصور لأنه تجاهل المصادر التي تعتبر صميم النقد في حقبه الزاهية، مما جعله لا يقدم صورة موضوعية لحقيقة المنهج النقدي عند المسلمين، وقد تفطنت د.عائشة عبد الرحمن إلي هذا الالتواء الخطير، فأشارت إلى الخلط الذي وقع فيه «روزنسال» حينما غاب عنه التفريق بين آداب السلوك المدرسي للعلماء والمتعلمين ومناهج البحث عند علماء المسلمين. والغريب في الأمر أن يظل كتاب (مناهج العلماء المسلمين في البحث العلمي) للمستشرق روزنسال مقررا ومعتمدا في عدد من جامعاتنا في المشرق والمغرب ليكون واحدا من المصادر التي تعتمد عند البحث في دراسة ومعرفة المناهج العلمية عند المسلمين .

الخلاصة:

في مجتمعات العولمة، أصبح كل شيء خاضعا للدراسة والتحليل، حتى العلوم الإنسانية التي تخضع لها القضايا الفكرية و الثقافية، أضحت اليوم توازي المختبرات التي تخضع لها العلوم التجريبية، إن لم نقل أنها تخضع لأكثر من ذلك من حيث الدقة والإهتمام وإذا ما اكتفى المسلمون اليوم بمواقف الرفض والإدانة للإستشراق والاعتماد على المواقف العاطفية اتجاه الإسلام، فلا مأمن لنا من شر الغرب والشرق فلا بد من وضع الخطط المدروسة والوسائل الفعالة والقيام بالمحاولات الجادة لتقديم البديل الفكري العربي و الإسلامي الصحيح، من أجل غربلة هذا الكم الهائل من إنتاج المستشرقين والإفادة من العقلية التي أنتجته، لوضع معالم واضحة لإنتاج فكري عربي واسلامي معاصر في مجالات البحث الديني واللغوي و التاريخي يوازي عمل المستشرقين، و يهتدي بتعاليم القرآن الكريم و السُنة، وليس الأقوال الفكرية البشرية، وليس صحيحا أن ننظر بمنظارالمستشرقين المشبوه إلى كل ذلك الكم الهائل الّذي مثله تراثنا الفكري العربي و الإسلامي بتأثير من المستشرقين الذين يعتبرهم بعضهم من المعصومين و هم أبعد ما يكونون عن ذلك.ومن جهة أخرى لابد من التخلي عن إستعادة معارك قديمة و إختلاق شبيه لها بعد أن انتهت بأصحابها وأهدافها وأسلحتها وزمانها، و لابد من الحفاظ على الهوية العربية و الإسلامية والتعامل مع الحاضر وما فيه من دون عقد و لا شعور بالنقص، و النظر بثقة إلى المستقبل و التخطيط له، و العمل بكل قوة من أجله، وبخلاف ذلك نكون قد سوقنا لأفكار المستشرقين ولو عن حسن نية، وأكبرنا من أشخاصهم و بحوثهم و أفكارهم، من دون وجه حق، و لا منفعة حقيقية لنا، و بلا حسابات صحيحة أو دقيقة، فملامح الهوية العربية و الإسلامية الأصيلة ترسمها أفعالنا الإيجابية و أفكارنا الواعية، وهكذا نستطيع تخطي ما لحق بنا و بثقافتنا من سلبيات المستشرقين.



الحركات الإسلامية بين التشدد و السلبية

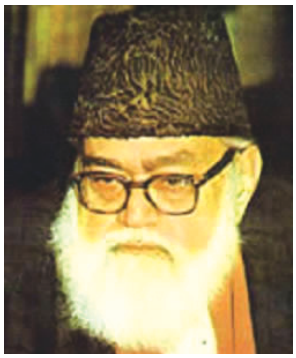
كتابة : د.رعد مقبل العبيدي

بالنظر لما يشاع عن تشابه الحركات الإسلامية في كونها متشددة على الرغم من إختلاف المذاهب التي تتبعها، أقول: ليس غريبا أن يكون هناك تشابه بين هذه الحركات في جوانب عدة، لأن منبعها واحد هو القرآن الكريم و السُنة النبوية المشرفة، و من الطبيعي أن يكون بينها تأثر و تأثير، و لكن الغريب حقا أن تختصر هذه الحركات بظاهرة التشدد فقط، و تهمل باقي خواصها الإيجابية، و من الملاحظ أن أغلب الحركات الإسلامية يقوم بتأسيسها شخصيات لهم نوايا حسنة، إلاّ أنه يمكن القول أيضا أن مشكلة أساسية، عانت منها هذه الحركات منذ نشأتها، هي أن أغلب مؤسسيها ليسوا ممن درس الفقه الإسلامي دراسة جامعية منظمة، و إنما عرف عن أكثرهم التثقيف الذاتي و الدراسة الشخصية لمؤلفات إسلامية قديمة أو حديثة تأثروا بها، و بوحي منها إندفعوا إلى محاولة بعث إسلامي جديد، كل حركة حسب إجتهادها، و لا نتحدث عن مدى توفيقها في تحقيق أهدافها أوعدم ذلك، فهذا موضوع يطول بحثه، ولكننا نشير إلى أنه في العصر الحديث من تسبب في ظهور هذه الحركات الإسلامية و ساعد على ذلك، هو ما حدث أواخرالدولة العثمانية، من تدهور و تفسخ نظامها و فساده، و إنفصال السلطات عن المفاهيم الإسلامية السليمة، و عدم ممارستها و لا إتباعها بالصورة الصحيحة التي يجب أن



تكون عليها، حيث إتسم الواقع بممارسات شكلية و مظاهر صورية للإسلام، بعد الإبتعاد عن المباديء الإسلامية القويمة، و هذا الذي حدث كان من أهم أسباب ضعف الدولة العثمانية ، حيث وصل الضعف إلى كل مفاصل الدولة، حتى وصفت بدولة الرجل المريض، و كثيرون يتصورون هذا الوصف يتعلق بالقوة العسكرية، و لكن الحقيقة المؤلمة أن الضعف أو المرض لم يقتصرا على القوة العسكرية وحدها، بل شملا كل مظاهر الحياة العامة و الدولة معا، و أخطرها الجانب الفكري و العقيدي و التشريعي أيضا، فالدولة العثمانية قامت على الإسلام و عندما إبتعد النظام عنه (فَقَدَ) أساس القوة للدولة و خسر أهم مرتكز لها، و هكذا بدأ مسلسل التدهور و الإنهيار، و يمكن أن نلاحظ ذلك في الجانب التشريعي عندما وافقت الدولة العثمانية على إصدار تشريعات قبلت تمييز

الأجنبي الفرنسي و البريطاني عن المواطن المسلم العثماني، و بموجب تلك التشريعات لم يعد جائزا للسلطات القضائية العثمانية مقاضاة الفرنسي أو البريطاني لا أمام محاكم عثمانية و لا بالإستناد إلى التشريعات العثمانية النافذة، و من دون المعاملة بالمثل، و هكذا تخلت الدولة عن واحد من مظاهرالسيادة و مبدأ قانوني ثابت، و هو سريان القانون الوطني في المكان و الزمان على جميع الموجودين في إقليم الدولة !، و هذه النتيجة هي دليل أكيد على بداية الإهتراء للنظام و الدولة و الخلافة العثمانية بحد ذاتها، و هكذا أمكن للغرب ليس إسقاط الدولة العثمانية فحسب، بل و توجيه ضربة قوية لنظامها الفكري و العقيدي و تشريعاتها التي كانت سائدة فيها، خاصة بعد السيطرة على السلطة من قبل المدعو كمال أتاتورك، و هو من يهود الدونمة، الذي إستبدل النظام العثماني كله بالنظام و القوانين الوضعية الغربية البعيدة عن الإسلام الحقيقي و حتى الشكلي، و تمادى في ذلك إلى حد تغيير الحروف العربية للغة التركية بالحروف اللاتينية، بقصد خلق حاجز و مانع قوي بين القرآن الكريم والمواطنين المسلمين، كل ذلك من أجل تحقيق هدف خبيث هو محو الهوية الإسلامية، خدمة لمصالح الحركة الصهيونية، و المستعمرين الجدد الإنكليز والفرنسيين، الذين أسقطوا الدولة العثمانية و تقاسموا أراضيها. و مما لاشك فيه أن إسقاط الدولة العثمانية أحدث حالة إحباط شديد و سبب بلبلة فكرية و عقيدية بالغة الخطورة ، فكان رد الفعل ظهور حركات إسلامية مضادة لهذا الواقع المعادي للعروبة و الإسلام على حد سواء، و إعتقدت هذه الحركات أنها البديل الصحيح و طريق الخلاص لإنقاذ المسلمين من بلاء ما أصابهم و حلّ بهم.



ابو الأعلى المودودي



الياس الكاندلهوي

و الملاحظ أنه مما يؤسف له أن هذه الحركات الإسلامية، و ربما من منطلق تفضيل الأهم على المهم، فإنها إفتقدت أو أهملت أو لم تهتم كثيرا، بتقديم برامج إصلاحية هادفة محددة و واضحة قابلة للتطبيق، لبناء مجتمع إسلامي جديد متحضر، يضاهي الحضارة الغربية المهيمنة على أغلب دول أوروبا غير المسلمة، و لم تتبع وسائل عملية (تدريجية) لتحقيق واقع جديد مغاير لما فرضه المستعمرون على الوطن العربي خاصة و العالم الإسلامي عامة، سواء إستلمت سلطة الحكم بأي وسيلة أم لم تستلم،

فأدبيات هذه الحركات الإسلامية في الغالب تميل على الإنشاء البلاغي، و ترديد الأقوال التي تثير العواطف و الحنين إلى ماض إسلامي مجيد، من دون أن تقدم إيضاحا نافعا لأي من التشريعات و المباديء التي حكمت ذاك الماضي المنير، و خلقت تلك الحضارة الإسلامية الرائعة.

و لا تبين كيفية إعادة العمل بها، أو تقديم ما هو أفضل منها مجاراة للظروف المستجدة، في ظل التقدم الحضاري الغربي الذي تصدر عجلة

التقدم الإنساني السائد حاليا.

فأغلب ما نجده في أدبيات الحركات الإسلامية المعاصرة هو مسائل عمومية مكررة و عواطف مشحونة، و إنتقاد بلهجة التخويف و التهديد و الوعيد من غضب الله، إلى آخر هذه الخطابات أحادية الجانب عند عرضها لحقائق الإسلام، و ما جاء في القرآن الكريم و السُنة النبوية المشرفة. بينما حقيقة القرآن و السُنة أنهما لا يقتصران فقط على التهديد و الوعيد، و ليسا سوطا يلهب ظهور العباد.

و في المقابل أنه ما أن يعلن عن قيام واحدة من الحركات الإسلامية حتى تبدأ عملية المحاصرة الغادرة و التشويش بإسلوب خبيث هو الإختراق المالي و الفكري المعلن و المبطن، تتولاه جهات غربية على مستوى عال من التعبئة العلمية و الفكرية و التفرغ العملي و المتابعة بكل مثابرة وجدية، حيث يتم تقويم هذه الحركات الإسلامية الناهضة، و دراسة مواطن القوة و الضعف فيما أعلنته هي و الشخصيات المؤسسة، و على إثر ذلك توضع الخطط اللازمة لإفشال هذه الحركات و بذل كل جهد ممكن لحرفها عن تحقيق هدفها الأساس، و هو إعادة بعث الإسلام و إستعادة مكانته اللائقة به، و إقامة الدولة الواحدة للعرب و المسلمين ، كما كانت زمن الخلافة الغابرة، و رفض الإستعمار الغربي و طرده من أراضي العرب و المسلمين، و التخلص من المظاهر السلبية لحضارته المادية و قوانينه الوضعية، التي فرضت بالقوة على المسلمين بديلا من حضارتهم الإسلامية و تشريعاتها ذات المصدر الألهي.

و هكذا تعرضت و ما زالت تتعرض الحركات الإسلامية إلى أنماط من الإختراق المنظم ماليا و فكريا من قبل الصهاينة و المستعمرين الجدد بقصد تشويه هذه الحركات و نسبة المساوىء لها. و قد قامت و ما زالت تقوم بذلك مؤسسات غربية و شرقية، مدنية و عسكرية و مخابراتية أيضا، كان و مازال واجبها التصدي للإسلام و رجاله و إجهاض أي حركة يمكن أن تحمل خطرا على الحركة الصهيونية أو دول الإستعمار الغربي . و بكل الوسائل المسموح فيها أو الممنوعة أو المحرمة، وهكذا قامت هذه المؤسسات وبأساليب و إغراءات شتى من إختراق الحركات الإسلامية و نجحت إلى حد ما في مسعاها لأكثر من سبب، و هذا لا يعني مطلقا و لا بالضرورة تواطوء أو خيانة قيادات هذه الحركات، ولا توجيه الإتهام لكل فرد من أفرادها، إذ أن ما نشخصه هنا إنما هو تقرير و بيان لواقع الحال، و هذا هو قصدنا فيما نعرضه الآن و نشير إليه، حيث نلفت الإنتباه إلى السعي الدائم لتلك المؤسسات الصهيونية و الغربية، لكي تتمكن من خلق حركات إسلامية متشددة من مثل القاعدة، ففي مقابلتين بجريدة (اللموند دبلوماتيك) الفرنسية إعترف مستشار الأمن القومي الأمريكي برجينسكي أنه هو صاحب الإقتراح بإستدراج القوات الروسية إلى مستنقع أفغانستان ردا على ما قاموا به من دور سلبي ضد القوات الأمريكية في فيتنام، بعد فشل مقترح د.هنري كيسنجر بإن الحرب الأهلية في لبنان سوف تستدرج الروس إلى الوقوف إلى جانب مناصريهم من الحركات السياسية اللبنانية و حركة المقاومة الفلسطينية في لبنان، و لكن بعد تسبب الأمريكان و تابعيهم في إندلاع الحرب ، و بدلا من أن يُقضى على الحركة الوطنية اللبنانية أو المقاومة الفلسطينية، أو إستدراج القوات الروسية إلى حرب مباشرة أوغير مباشرة في لبنان، فقد حدث ما لم يكن متوقعا للأمريكان، حينما تمت محاصرة القوى المؤيدة لأمريكا و أشرفت على

الهزيمة الكاملة، الأمر الذي دفع الصهاينة إلى غزو لبنان و محاولة تصفية الثورة الفلسطينية بالقوة العسكرية المباشرة للكيان الصهيوني، و يعترف برجينسكي صراحة أنه قام بدور فعال بإستقطاب الجهاديين المسلمين وإنشاء القاعدة بتمويل المال العربي الخليجي، و يكشف برجينسكي أن من قام بالتدريب العسكري للمجاهدين ضباط مخابرات أمريكية و موساد يتكلمون العربية، حيث قام هؤلاء ليس بتدريب المقاتلين على إستعمال السلاح و اساليب القتال فحسب، بل بتعبئتهم بتوجيهات فكرية معينة، من ذلك أنهم أحلوا للمجاهدين إستعمال كل وسائل الرذيلة في حربهم ضد الروس، بنشر المخدرات و ممارسة الشذوذ الجنسي، و الإغراء بالدعارة، و تقديم الرشوة، و ترويج المخدرات و التعامل بها، و التجسس، و اعتماد التعذيب الهمجي للأسرى بوسائل صناعية مبتكرة لم تستعمل حتى في الحرب العالمية الثانية، و ذلك في مواجهة الجندي الروسي خاصة و القوات الأفغانية العاملة مع القوات الروسية عامة، بقصد خلق حالة من التفكك و التحلل و الصدمة للجيش الروسي الموجود في أفغانستان. و هذه الوسائل الخبيثة البعيدة كلية عن الإسلام شاعت كالسرطان لدى كثير من الحركات التي تدعي أنها إسلامية، بغض النظرعن المذهب الذي تنتمي إليه، و قد أغراها على إستخدام هذه الوسائل النجاح الذي تحقق بهزيمة الروس، و إجبارهم على سحب قواتهم العسكرية من أفغانستان. و هذه الممارسات اللاإسلامية هي المظاهر السلبية التي مهدت للتشدد و جعلته تهمة لا تغتفر، و ألصقت ظلما بالمسلمين و حركاتهم، بعد أن جرى عمدا التستر على ما قام به الأمريكان و الصهاينة، و ما تسببوا فيه


بريجنسكي

من سوء للإسلام، في حين أنهم وحدهم من إبتكرهذه الممارسات الشيطانية الخبيثة، و أقحمها عنوة على الحركات الإسلامية بحجة الجهاد ضد الشيوعية الكافرة، ثم لم يقف جهد المخابرات الغربية و الصهيونية عند هذا الحد، بل جرى في أكثر من دولة عربية و إسلامية إشاعة إستعمال هذه الممارسات الإجرامية لدى حركات سياسية، و إن لم تكن ذات توجهات دينية .و نتيجة من تظافر جملة عوامل ظهرت حركات إسلامية تميل على التشدد، ليس لأن الإسلام متشدد بطبيعته، و لا كما يشاع بأنها إستمدت هذا التشدد من حركة (الأخوان المسلمين)، أو من الفقه الوهابي الذي جعله بعضهم شماعة يعلق عليها ما شاء له الهوى من تهم يجترهاغير المطلعين، لا على النتاج الفكري للأخوان، و لا على الفقه الوهابي بحد ذاته، حيث يستسهل كثيرون إشاعة و ترديد التهم الجاهزة للإسلام عموما، و التنظيمات الإسلامية خصوصا. و يجهل هؤلاء أو يتجاهلون بدوافع مختلفة، من أوجد التشدد حقيقة، و أقحمه على الحركات الإسلامية عنوة، و ما بدعة التشدد إلاّ خطة منظمة و ممنهجة إبتكرتها مؤسسات صهيونية غربية و شرقية أخذت على عاتقها واجب التصدي للإسلام كدين و حضارة، خشية أن يعود إلى أخذ مكانه الجدير به، كما كان في ماضيه، أو تُقام دولته الواحدة في أراضي

العرب و المسلمين، و هذه المؤسسات هي التي دفعت بعض الحركات الإسلامية إلى الإقتناع بأسلوب التشدد، و العمل بموجبه بذرائع متنوعة وبإغراء أساليب شيطانية شتى.

و شخصيا عندي شواهد و ملاحظات عديدة تؤكد صحة ما أذهب إليه في هذا الشأن.

و هنا أريد أن أشير إلى دور أجانب من الهنود، و خطورة ما قاموا به على الصعيد العقيدي من نشر مباديء التعصب و التشدد، و بثها في الحركات الإسلامية، و أحدهم المدعو أبو الأعلى المودودي، و هو على الرغم من ظهوره كشخصية مفكرة، إلاّ إنه لم يتلق أي تعليم مدرسي أو جامعي منظم، و إنما إكتفى أبوه بتعليمه في البيت. فتعلم على يد أبيه اللغة العربية و القرآن الكريم و الحديث النبوي و الفقه الإسلامي، و هكذا مع الوقت صار مفكرا، و أطلق فكرة (الحاكمية) التي وجد لها أساسا فيما أعلنه الخوارج (إن الحكم إلا لله)، و بسببها شقوا جيش الخلافة الإسلامية، و قد قال الإمام علي عما أعلنوه (كلمة حق يراد بها باطل)، و تلقف فكرة المودودي للحاكمية بعض المعاصرين و زادواعليها ما قادهم إليه إجتهادهم.

و هكذا تسربت هذه الفكرة إلى أشخاص فهمها كل منهم حسب مستواه العلمي و فكره و ثقافته، و جعلتهم يندفعون إلى التشدد بدرجات متفاوتة بغض النظر عن كونهم من مذاهب أهل السُنة أو غيرهم. و يبدو أنه قدِّرَ لما قصد به الخوارج من الإستشهاد بآية (إن الحكم إلاّ لله) أن تُبعث من جديد، لتحدث مرة أخرى إنشقاقا خطيرا كما سببت أول مرة.

و في الهند أيضا ظهر المدعو محمد الياس الكاندلهوي، الذي أسس جماعة الدعوة و التبليغ، و هي على النقيض من التشدد، إذ تجعل المسلم شخصا سلبيا لا علاقة له بمجتمعه، و لا يشارك في أي من الواجبات التي على المسلم القيام بها، سوى أن يصلي و يصوم، و لا يعرف من حقوق المواطنة شيئا، و كأنه يعيش في جزيرة منعزلة عن مجتمعه و العالم كله، و لا تهمه في شيء أي قضية من قضايا مجتمعه خاصة، و لا قضايا الإنسانية عامة.

و منذ سبع أو ثمان سنوات طُلب مني تصحيح رسالة دكتوراه جامعية عن جماعة الدعوة و التبليغ، و قد فوجئت بالأفكار التي جاءت بها هذه الدعوة، و هي إسلامية و لكنها تنتقي أيات قرآنية معينة، و تختار أحاديث نبوية بعناية خاصة، كي تخدم أهدافهم، و توصلهم شيئا فشيئا و بشكل منظم إلى خلق المسلم السلبي الشخصية، البعيد كلية عن قضايا وطنه و مجتمعه، و قد وصل الأمر بأفراد جماعة الدعوة و التبليغ إلى حد القول: أن إغتصاب فلسطين لا يعنيهم في شيء، و أن الأمر متروك لله، و من يشارك في نشاطاتهم يتعرف على المزيد من هذه المفاهيم السلبية التي تؤمن بها هذه الجماعة و تروج لها، و هي جماعة تمكنت من تجنيد الملايين من التابعين، يعقدون إجتماعات مستمرة و مكررة في جميع أنحاء العالم، و تقيم إجتماعات سنوية يصل أعداد المشاركين فيها إلى الملايين في الإجتماع الواحد.

و على وفق ما تقدم نجد أن المؤسسات الصهيونية الغربية و الشرقية تمكنت من إختراق بعض الحركات الإسلامية، كما و نجحت في خلق حركات متشددة من مثل القاعدة، و أخرى على النقيض منها، و هي حركات سلبية من مثل الدعوة و التبليغ، و في الحالتين الهدف واحد هو التشويه و الإساءة إلى الإسلام دينا و حضارة، فتكون النتيجة إلحاق الخسارة و الضرر بالمسلمين جميعا، على حدٍ سواء و بلا إستثناء.



العهدة العمرية والإعلان العالمي لحقوق الإنسان

الدكتور: نادر جميل جمعة
أستاذ الفلسفة في الجامعة اللبنانية

في التاريخ الحديث من المعروف أن الثورات الإنكليزية والأميركية والفرنسية كرست المواطنة كمفهوم سياسي وقانوني؛ له أبعاد أخلاقية وقيمية تتعلق بالفرد بغض النظر عن انتمائه أو ثقافته أو عرقه؛ لذلك يعتبر الإعلان العالمي لحقوق الإنسان الصادر عن الجمعية العامة للأمم المتحدة بتاريخ ١٠/١٢/١٩٤٨م امتداداً وتجسيداً طبيعياً لجملة الحقوق والقواعد التي دعت إليها هذه الثورات. وبالتالي أصبح الفرد هو الأساس بعد أن كانت الأمة أو الجماعة هي المعيار الذي وضعت من أجله التشريعات والتوصيات عبر هذا التاريخ الإنساني الطويل([١]).

ومن المفارقات العجيبة أنه في السنة نفسها التي صدر فيها الإعلان العالمي لحقوق الإنسان، قام الكيان الصهيوني المغتصب لأرض فلسطين بالإعلان عن دولة الكيان الصهيوني ضارباً عرض الحائط كل المواثيق والمعاهدات الإنسانية والدولية القديمة منها والحديثة، منتهكاً كل الأعراف الدولية ومرتكباً أفظع المجازر بحق الشعب الفلسطيني.

أما الفكر الإسلامي القديم والحديث فإنه كان ولا يزال يعلي من شأن الأمة، انطلاقاً من الالتزام بالدعوة إلى الحفاظ على الهوية الجماعية للأفراد، وفي الوقت نفسه التزمت الشريعة الإسلامية تحقيق التوازن بين حقوق الجماعة «الأمة» وحقوق الأفراد سواء من المسلمين أو من غيرهم، على قاعدة الاعتراف بالشخصية الطبيعية والقانونية لكل فرد مسلماً كان أو غير مسلم([٢]).

والتاريخ الإسلامي حفظ لنا العهدة العمرية، وبالنظر لما جاءت به وما تضمنته من مبادىء، سأحاول في هذه الورقة أن أوازن بين العهدة العمرية والإعلان العالمي لحقوق الإنسان؛ للتأكيد أولاً على هذه الحقوق الطبيعية؛ وثانياً للوقوف على نقاط الالتقاء والافتراق بين ما نصت عليه العهدة العمرية وما تبناه الإعلان العالمي من جملة حقوق ومبادئ إنسانية.

أولاً: في المصطلح:

العهدة في اللغة: من العهد، وهو بمعنى الوصية والأمانة والموثق والذمة، وتطلق العهدة على الوثيقة والمرجع للإصلاح، يقال: في الأمر عهدة أي مرجع للإصلاح، وتسمى وثيقة المتبايعين عهدة، لأنه يرجع إليها عند الالتباس([٣]). والعهد: اليمين، وكل ما عوهد الله عليه، وكل ما بين العباد من المواثيق فهو عهد([٤]).

والميثاق في القانون الدولي: هو وثيقة رسمية، وغالباً صك أساسي ذو طابع إتفاقي لمنظمة دولية، مثل: ميثاق سان فرنسيسكو لعام ١٩٤٥م، الذي أنشأ منظمة الأمم المتحدة.

كما أن الميثاق هو أيضاً تعبير عن مواقف ذات خاصية سياسية، بدون قيمة قانونية محددة، ولكن ذات نتائج سياسية وأخلاقية هامة؛ مثل: الميثاق الدولي للحقوق المدنية والسياسية، والميثاق الدولي للحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية([٥])وهو أيضاً وثيقة تفرض وتعلن حقوقاً للمواطنين وواجبات عليهم، مثل: الماغناكرتا أو ميثاق عام ١٢١٥م في إنكلترا([٦]).أما العهدة العمرية وبحسب الديباجة التي صدرت بها تعتبر أماناً عاماً لجميع سكان إيلياء أي القدس، فقد جاء في مقدمة المعاهدة: «بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما أعطى عبد الله عمر أمير المؤمنين أهل إيلياء من الأمان:

أعطاهم أماناً لأنفسهم وأموالهم.([٧]).

والأمان في اللغة: عدم توقع مكروه في الزمن الآتي، وأصل الأمن طمأنينة النفس وزوال الخوف، والأمن والأمانة والأمان مصادر للفعل (أمن)، ويرد الأمان تارة اسماً للحالة التي يكون عليها الإنسان من الطمأنينة، وتارةً لعقد الأمان أو صكه([٨]).

وعرَّف الفقهاء الأمان:بأنه رفع استباحة دم الحربي و رِقِّه وماله حين قتاله أو الغرم عليه، مع استقراره تحت حكم الإسلام([٩]).

ومن الملاحظ أن المصطلحات التالية:

الأمان – العهد – الميثاق؛ كانت ولا تزال مستعملة على الصعيد الحقوقي الدولي والإقليمي والمحلي، وأنها من حيث المضمون تمنح المواطنين الحقوق وفيها الأبعاد والدلالات قد تتشابه سواء ببعدها اللغوي/اللفظي، أم الشرعي/الفقهي، أم الدولي/القانوني، ولذلك آثرنا هنا أن نعرض العهدة العمرية ونوازنها بنصوص الإعلان العالمي لحقوق الإنسان.

ثانياً: الشروط العمرية([١٠]) والعهدة العمرية([١١]):

قبل الحديث على ما تضمنته العهدة العمرية من حقوق وما كرسته من مبادئ إنسانية تجدر الإشارة إلى أن كثيراً من المؤرخين والباحثين في الفكر السياسي العربي والإسلامي يخلطون بين العهدة العمرية (وهي كتاب عهد وأمان بين عمر بن الخطاب أمير المسلمين والبطريرك صفرونيوس، بطريرك القدس سنة ١٥ هجرية) ([١٢])؛ والشروط العمرية التي عرض لها الإمام ابن قيم الجوزية في كتابه «أحكام أهل الذمة»([١٣])، واستنبط منها جملة من الواجبات والحقوق الممنوحة لنصارى إيلياء – القدس – والتي تتضمن كثيراً من الإجحاف بحق المواطنين المخالفين للمسلمين في العقيدة والإيمان – أي نصارى إيلياء؛ على سبيل المثال ما ذهب إليه ابن القيم من أنه لا يجوز للذمي الذي اشترى داراً من مسلم وكانت دار المسلم تعلو دار الذمي ثم تهدمت، فإنه لا يجوز أن يعيدها كما كانت بحيث تعلو دار المسلم؛ ومنها أن المرأة الذمية إذا خرجت يكون أحد خفيها أحمر حتى تعرف؛ ومنها أن تختم رقاب أهل الذمة كي يعرفوا، إلى غير ذلك من المسائل التي تتعارض ومبادىء الإسلام في الحفاظ على الكرامة الإنسانية، وتتصادم أيضاً مع أبسط حقوق الإنسان الطبيعية والقانونية([١٤]).

وبالموازنة بين هذه الشروط والعهدة يمكننا أن نستخلص أن ما نسب لأمير المؤمنين عمر بن الخطاب تحت مسمى «الشروط العمرية» لاتصح نسبتها إليه للأسباب التالية:

أولاً: منحت العهدة العمرية أهل الذمة جملة من الحقوق المدنية والسياسية والاجتماعية والدينية، انطلاقاً من دعوة القرآن الكريم إلى التسامح الديني، وتأكيداً على ما أقره الرسول صلى الله عليه و سلم من حقوق لسكان المدينة من غير المسلمين في الوثيقة النبوية([١٥])، التي كتبها في المدينة لتنظيم العلاقات بين سكانها كمواطنين. إن ما نصت عليه العهدة من حقوق يناقض تماماً ما ذكره الإمام ابن القيم من الشروط العمرية في كتابه «أحكام أهل الذمة»([١٦]).

ثانياً: إن ما يعرف بالشروط العمرية يناقض أو يخالف سماحة الإسلام ودعوته إلى الحوار والاعتراف بالغير. قال تعالى: ((لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين))[الممتحنة:٨]. وقال تعالى: ((لا إكراه في الدين))[البقرة:٢٥٦]. وقال تعالى: ((ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة))[النحل:١٢٥]. وقال تعالى: ((قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله و لا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون))[آل عمران: ٦٤].

ثالثاً: إن الإمام ابن القيم نفسه لم يهتم بدراسة وتتبع سند هذه الشروط، إذ يقول في كتابه: «وشهرة هذه الشروط تغني عن إسنادها، فإن الأئمة تلقوها بالقبول»([١٧]). وقد علق المحقق الدكتور صبحي الصالح على ذلك بقوله: «من العجيب أن يقول العالم السلفي الكبير ابن القيم في موضوع خطير كهذا الموضوع التاريخي


العهدة العمرية

التشريعي (إن شهرة هذه الشروط تغني عن إسنادها)، ومتى كانت الاستفاضة دليل الصحة؟ ومن الذي يسوغ للعلماء أن يستغنوا عن إسناد الروايات تعويلاً على شهرتها فقط؟»([١٨]).

رابعاً: إن من يقرأ الشروط العمرية في كتاب الإمام ابن القيم والتي أفرد لها أكثر من نصف الجزء الثاني يلاحظ التناقض والتضارب بين الروايات والوقائع والأحكام التي أوردها الإمام ابن القيم في الكتاب نفسه([١٩]). ففي الوقت الذي يؤكد فيه على عدالة الصحابة والتابعين والخلفاء الراشدين والأمويين والعباسيين مع أهل الذمة؛ نجده يفتي بخلاف ذلك وينسب إليهم ما يتناقض و ما قرره من أحكام ومبادىء عامة قبل ذلك. فقد ذكر أن عمر بن الخطاب رفض الصلاة داخل الكنيسة كي لا يحسب المسلمون أنه تمكلها وحولها إلى مسجد، وأنه سمح لهم بترميم كنائسهم ومعابدهم؛ ثم عاد فنسب إلى عمر أنه أمر بهدم كنائسهم ومنع ترميمها، كما أنه ذكر أن الوليد بن عبد الملك وعمر

بن عبد العزيز قد أقرا إعطاء نصارى دمشق جميع كنائسهم مقابل الكنيسة المجاورة لمسجد دمشق لتوسعته، وغيرها من الأمثلة كثير في تضاعيف كتابه([٢٠]).

خامساً: الملفت للانتباه أن الإمام ابن القيم ذكر أن نصارى الجزيرة شرطوا على أنفسهم هذه الشروط إذ يقول: «كتب أهل الجزيرة إلى عبد الرحمن بن غنم: إنا حين قدمت بلادنا طلبنا إليك الأمان لأنفسنا وأهل ملتنا على أنا شرطنا لك على أنفسنا ألا نحدث في مدينتنا كنيسة....» ([٢١]). فكيف يمكن أن يملي المغلوب شروطه على الغالب؟ ثم هل يعقل أن يحقر المغلوب نفسه ويتنازل عن كرامته بهذا الشكل الذي نصت عليه الشروط العمرية؟! كما أنه من غير المنطقي أن يقبل الخليفة عمر شروطاً كهذه تعارض مبادىء الإسلام الإنسانية.

سادساً: إن الشروط العمرية تناقض المعاهدة التي كتبها عمر بن الخطاب لأهل بيت المقدس([٢٢])؛ وكتابه لأهل لُدّ([٢٣])؛ وكتابه لأهل الرقة([٢٤])؛ وكتابه مع أسقف الرها([٢٥])؛ وكتابه لأهل مصر([٢٦]). والتي تنص صراحة على حقهم بالحياة، والعمل، وحرية التنقل، والعبادة، وممارسة إيمانهم في معابدهم، وواجب الدولة في حمايتهم، والدفاع عنهم ما داموا ملتزمين عهودهم وموفين بها.

سابعاً: لقد بذلت جهداً في تتبع هذه الشروط في كتب الفقه والحديث التي كتبت في القرون الثلاثة الأولى؛ فلم أقف بحسب اطلاعي الشخصي على هذه الشروط؛ وإنما ذُكرت في بعض كتب الخراج([٢٧]) والأموال([٢٨]) وهي كتب غير متخصصة بالفتوى ولا بالأحكام الشرعية، وإنما هي مصنفات بدأت تظهر بعد انتهاء النصف الأول من القرن الهجري الأول بغرض رسم السياسات الاقتصادية والمالية للدولة العباسية.

ثامناً: إن الشيخ ناصر الدين الألباني قد تتبع هذه النصوص وقام بدراسة أسانيدها، وحكم على أكثرها بالضعف أو بالوضع([٢٩])، ثم إن هذه الشروط لا تستند إلى أصل من كتاب أو صحيح سنة؛ بل أكثرها من الموقوف على عمر بن الخطاب، أو على ابن عباس أو الحسن البصري بحسب ما جاء في كتاب «أحكام أهل الذمة» للإمام ابن قيم الجوزية. وبالتالي فقد ذكر ابن القيم كثيراً من المسائل التي تناقض تماماً ما عرف من سيرة عمر بن الخطاب([٣٠]) ومعاوية بن أبي سفيان، وعمر بن عبد العزيز([٣١]) وغيرهم من الخلفاء المسلمين.

وأحسب أن هذا القدر من الاضطراب يطرح أسئلة إشكالية كبرى لجهة إعادة النظر فيما يتم تداوله من «الشروط العمرية» ولجهة إعادة رسم العلاقات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية بين المسلمين وغيرهم من المواطنين غير المسلمين في بلاد المسلمين؛ وأن بعض الحقب التاريخية تعرضت فيها الأقليات غير المسلمة للتمييز والاضطهاد على أساس الاختلاف العقيدي، لكن ذلك لا يطمس حقيقة الموقف الإسلامي المتسامح والمنفتح على الغير في قرون كثيرة خلت؛ يبقى أنه من الظلم أن ننسب إلى الإسلام بما يمثل من عقيدة وشريعة بعض الأحكام والسلوكيات التي

تناقض أو تخالف دعوة الإسلام إلى تحقيق العدالة الاجتماعية وتوفير الأمن الشخصي والنفسي والسلوكي لكل مواطن بما لا يعارض عقائد المسلمين المقررة في الكتاب والسنة.

ثالثاً: العهدة العمرية والإعلان العالمي لحقوق الإنسان:

العهدة العمرية والإعلان العالمي لحقوق الإنسان هما من النصوص التأسيسية التاريخية التي أرست قواعد عامة ذات أبعاد مدنية وسياسية واجتماعية واقتصادية، يقوم عليها مفهوم المواطنة الحديث والذي يقابل مصطلح «أهل الذمة» في الكتابات الفقهية الإسلامية الكلاسيكية عند السنة والشيعة.

ومن العلماء المسلمين الذين ناقشوا «مصطلح أهل الذمة»، الإمام الشيخ محمد مهدي شمس الدين الذي يقول: «إن مصطلح أهل الذمة لم يرد في الكتاب ولا في السنة؛ وإنما ورد تعبير «ذمة نبيكم»، الذي يفيد الحماية القانونية أي: «حماية القانون»، لأن النبي صلى الله عليه و سلم يمثل القانون ولا يمثل سلطة مادية وحسب ... ومصطلح «أهل الذمة» وشروط «أهل الذمة» تصور فقهي حصل في وقت متأخر ونتج من عدم دقة فقهية عند الفقهاء، ونتج ثانياً من ظروف اجتماعية كانت وليدة تلك العصور»([٣٢]).

و فيما يلي بيان لما تضمنته العهدة العمرية من أفكار و مباديء و حقوق يمكن أستخلاصها منها و على النحو التالي:

أ- البعد الإنساني:

دعت العهدة العمرية في أول كلمة فيها إلى الحفاظ على الكرامة الإنسانية وحق كل إنسان يسكن في أراضي الدولة الإسلامية وقتذاك بالعيش والحياة الكريمة واللائقة وفي ذلك تقول العهدة: «هذا ما أعطى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب أهل إيلياء من الأمان، أعطاهم أماناً لأنفسهم»([٣٦])، أي الحق بالحياة وعدم الاعتداء على النفس البشرية بالقتل أو بالتعذيب أو بالإهانة. وخير ترجمة لإعطاء هذا الحق ما حدث مع القبطي، الذي اعتدى عليه ولد عمرو بن العاص؛ فما كان من عمر بن الخطاب إلا أن استدعى أطراف النزاع واستمع للمدعي «القبطي» والمدعى عليهما «عمرو بن العاص وولده»؛ وبعدها قال قولته الشهيرة: «مذ كم إستعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً»([٣٧]).

هذا وقد نص الإعلان العالمي في مادته الأولى على: أنه يولد جميع الناس أحراراً ومتساوين في الكرامة والحقوق([٣٨]).

ب- حرية الحركة والعمل والتملك:

للذمي أن يذهب إلى المكان الذي يريده مطمئناً على سلامته وحمايته من أي اعتداء، فالنصوص العامة بحسب الدكتور عبد الكريم زيدان تحرم العدوان على الآخرين قال تعالى: ((إن الله لا يحب المعتدين))[البقرة:١٩٠]؛ كما تمنع العدوان على الآمنين المسالمين قال تعالى: ((فلا عدوان إلا على الظالمين)) [البقرة:١٩٣] ([٣٩])؛ لذلك نصت العهدة العمرية على أنه: «من خرج منهم فإنه آمن على نفسه وماله حتى يبلغوا مأمنهم، ومن أقام منهم فهو آمن، وعليه مثل ما على أهل إيلياء – القدس – من الجزية، وأنه من شاء سار مع الروم، ومن شاء رجع إلى أهله، فإنه لا يؤخذ منهم شيء حتى يحصد حصادهم»([٤٠]).

والإعلان العالمي نص في مادته الثالثة عشرة: أنه لكل فرد حق في حرية التنقل، وفي اختيار محل إقامته داخل حدود دولته، وأنه لكل فرد حق في مغادرة أي بلد، بما في ذلك بلده، وفي العودة إلى بلده([٤١]).

ج- البعد الاقتصادي:

أكدت العهدة العمرية على «أن أهل إيلياء-القدس-آمنون على أموالهم... وأنهم ملزمون بإخراج اللصوت – اللصوص – وأنه لا يضار أحد منهم»([٤٢])مما يعني أن الدولة قد كفلت لهم حرية التنقل والاستثمار والعمل الاقتصادي الحر الذي لا يناقض أحكام الشريعة الإسلامية؛ وفي الإطار نفسه نجد أن الإعلان العالمي قد أكد في المادة الثالثة والعشرين منه على حق كل شخص في العمل، وفي حرية اختيار عمله، وفي شروط عمل عادلة ومرضية، وفي الحماية من البطالة([٤٣]). وفي هذا السياق لا بد من ذكر المحاولة التي قام بها عمرو بن العاص في مصر؛ عندما أراد أن يبني مدينة الفسطاط وقرر استملاك منزل إحدى العجائز بأضعاف قيمته، فشكته إلى عمر بن الخطاب الذي استدعاه وبعد أن نظر في المسألة قال لعمرو:» أيكون كسرى أنو شروان أعدل منا؛ اعوجاج القصر مع العدل خير من استقامته مع الظلم؛ وأمره برد الأرض للمصرية»([٤٤]).

د- الحريات الدينية والاجتماعية:

نصت العهدة العمرية على أن أهل إيلياء – القدس – آمنون على كنائسهم وصلبانهم، وسقيمها وبريئها وسائر ملتها، وأنه لا تسكن كنائسهم ولا تهدم، ولا ينتقص من حيزها،



ولا من صليبهم، ولا يكرهون على دينهم... وأنه من أحب من أهل إيلياء أن يسير بنفسه مع الروم ويخلى بيعهم وصلبهم؛ فإنهم آمنون على أنفسهم وعلى بيعهم وصلبهم، حتى يبلغوا مأمنهم([٤٥]).

وقد ذكر المؤرخون أن عمر بن الخطاب بعد أن دخل القدس وكتب العهد لأهلها حان وقت الصلاة، فأراد أن يصلي فأشار عليه البطريرك أن يصلي داخل كنيسة القيامة، فما كان من عمر بن الخطاب إلا أن خرج منها وصلى في الخارج كي لا يقال إن عمر صلى بها، أي أنها أصبحت ملكاً ومسجداً للمسلمين([٤٦]).

وتنص المادة الثامنة عشرة من الإعلان العالمي أنه: لكل شخص حق في حرية الفكر والوجدان والدين، ويشمل هذا الحق حريته في تغيير دينه أو معتقده، وحريته في إظهار دينه أو معتقده بالتعبد وإقامة الشعائر والممارسة والتعليم، بمفرده أو مع جماعة([٤٧]).

هـ التعايش السلمي بين المسلمين والنصارى:

من الملاحظ أن العهدة العمرية قد تضمنت نصاً صريحاً بإخراج «الروم واليهود من

القدس»([٤٨])، مما يعني أن الخليفة عمر بن الخطاب كان يستهدف إخراج جميع المحاربين أو المقاتلين ومعاونيهم من المدينة وأن تبقى القدس مدينة السلام، حيث يتعايش المسلمون والنصارى ويعم الهدوء، وتبقى إيلياء عاصمة الأديان ومهبط الوحي، بعيداً عن التآمر اليهودي. وما طمع الغربيين بخيرات القدس وناسها، وتواطؤهم الدائم مع اليهود ضد المسلمين والمسيحيين إلا دليل على أن عمر بن الخطاب كان ذا نظرة استشرافية؛ فكان يريد إخراجهم من المدينة المقدسة تجنباً للفتن وإراقة الدماء. والتحالف الصهيو-غربي ضد المسلمين والمسيحيين اليوم يؤكد أن العقلية والذهنية لم تتغير، وأن على المسلمين والمسيحيين التوحد من أجل تطهير القدس وتحريرها من الصهاينة.

و- ترجمة المعاهدات إلى أفعال:

ولم تكن المعاهدات في الإسلام مجرد قصاصة ورق، كما هو الشأن عند الدول غير الإسلامية المعاصرة، ولا وسيلة لخداع العدو، ولا ستاراً لتنفيذ أهداف معينة، ولا شعاراً لفرض القوي سلطانه الغالب على الضعيف، ولا من أجل تقرير سلم ظالم غير قائم على الحق والعدل. وإنما كانت المعاهدات في الإسلام مصونة عن أي غدر، أو خداع أو قهر، أو تأمين مصلحة مادية رخيصة.

يقول الدكتور وهبة الزحيلي: «والتزم المسلمون بالوفاء بالعهود شرعاً إلهياً عادلاً لحماية الأغراض السامية التي تستهدفها الدعوة الإسلامية، أو لإقامة سلم دائم لا ينطوي على أي عدوان مبيت أو مكر مقنع. ولا يجوز نقضها ما دامت قائمة؛ ولا الإخلال بشروطها أو بنودها ما لم ينقضها العدو، تنفيذاً لأمر الله المقدس في آيات قرآنية متعددة، مثل: ((يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود))[المائدة:١]، ((وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلاً إن الله يعلم ما تفعلون))[النحل:٩١]، ((وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسؤولاً))[الإسراء:٣٤]، ((فأتموا إليهم عهدهم إلى مدتهم))[التوبة:٤]، ((فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم)) التوبة:٧] ([٤٩]).

وقد أكد الرسول عليه الصلاة والسلام احترام الأحلاف العربية الإنسانية المعقودة في الجاهلية، فقال في حلف الفضول الإنساني والذي شهده لنصرة المظلوم وحماية زائري مكة وهو شاب: «لقد شهدت في دار عبد الله بن جدعان حلفاً، ما أحب أن لي به حمر النعم، ولو أدعى به في الإسلام لأجبت»([٥٠]).

ومن الجدير بالذكر أن نشير إلى ما ذكره المفكر الإسلامي الدكتور رضوان السيد في كتابه «سياسيات الإسلام المعاصر» أن التأسيس الإسلامي لحقوق الإنسان قد بدأ في الحقيقة أواخر الأربعينيات من القرن العشرين مع العودة لإستخدام المقولة القرآنية عن الإستخلاف الإلهي للإنسان في الأرض، في مواجهة مقولة «القانون الطبيعي» التي تأسس عليها الإعلان العالمي؛ معتبراً أن أول من استخدمها هو الأستاذ عبد القادر عودة في كتابه «الإسلام وأوضاعنا السياسية»، وأنه أتى من بعده الأستاذ عبد الله دراز بفكرة التكريم الإلهي مؤصلاً للكرامة الإنسانية، ولكرامة الإستخلاف، ولكرامة الإيمان، ولكرامة العمل([٣٣]). إلاّ أننا على وفق ما قدمناه أعلاه نرى أن النواة الأساسية لفكرة الحقوق الإنسانية

من منطلق إسلامي توجد في نصوص العهدة العمرية، لأن الإستخلاف أول ماذكر على الأرجح في سورة البقرة بالآية رقم (٣٠) (وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ)، و هذا نص عام لا يقصد به الحقوق فقط و ما يتعلق بها، بينما العهدة العمرية نص إسلامي إختص ببيان حقوق غير المسلمين، فمن باب أولى أنه يمكن أن يطبق على المسلمين أيضا، و طالما هو نص خاص فهو المقدم على النص العام و واجب التطبيق قبله، أما النص العام فيمكن الإستناد إليه في عدم وجود نص خاص ينظم الحالة المراد الفصل فيها، زيادة على ذلك فإن منظري الإسلام السياسي الذين طرحوا الإعلان الإسلامي لحقوق الإنسان([٣٤]) والبيان الإسلامي العالمي لحقوق الإنسان([٣٥])، إنما كان دافعهم تقديم الإعلان الإسلامي نظرياً كبديل من الإعلان العالمي؛ بينما عمر بن الخطاب قد جعل من هذه الأفكار والحقوق منهج حياة ونموذجاً عملياً لا تزال أصداؤه تسمع في أوروبا وغيرها من عواصم العالم.

رابعاً: الخاتمة:

إذا كانت العرب في الجاهلية قد استطاعت أن تضع قانوناً عاماً «حلف الفضول»، لضمان الحريات الدينية والتجارية والسلوكية على قاعدة الانتصار للمظلوم والتصدي للظالم؛ وإذا كان محمد صلى الله عليه وسلم قد خط أول عقد اجتماعي في المدينة المنورة «الوثيقة النبوية»، بهدف تنظيم العلاقات العامة وحفظ الحقوق الدينية وغيرها للمواطنين وقتها؛ فقد جاءت العهدة العمرية كإعلان صريح وواضح خاص بحقوق الإنسان سبقت ما يُقال أن الإنكليز قد أرسوا مجموعة من القواعد العامة لحفظ الحقوق «الماغناكارتا»؛ وإذا كانت الثورات الإنكليزية والأميركية والفرنسية قد أصدرت»الإعلانات العامة للحريات»،التي دعت إلى حماية حقوق الإنسان والمواطن؛ وإذا كان الإعلان العالمي لحقوق الإنسان قد استند إلى هذه النصوص التأسيسية، للتأكيد على شمولية هذه الحقوق، وعلى البعد الرسالي الذي تدعو إليه، وعلى عولمة وعالمية منظومة الحريات والحقوق؛ فإننا نشاهد كل يوم وعلى مرأى ومسمع المجتمع الدولي ما تقوم به دولة الكيان الصهيوني من هتك للحرمات، واعتداء على المقدسات الدينية، وتقييد للحريات العامة والخاصة، وتدمير للاقتصاد الفلسطيني بوساطة سياسة العزل العنصرية التي لم تكتف ببناء جدار الفصل العنصري، وإنما باعتبارها غير الإسرائيلي وغير اليهودي من الأجانب الرعاع الذين لا يستحقون الحياة الآمنة والمستقرة. فإنه ومنذ العام ١٩٤٨ لم يتورع هذا الكيان عن إراقة الدم العربي والإنساني في أرض فلسطين المحبة والسلام كما أرادها المسيح عيسى والرسول محمد عليهما السلام والصحابة الكرام من بعدهم وكل الشعب الفلسطيني إلى يومنا هذا. لذلك كان الخلفاء المسلمون يسارعون إلى عقد المعاهدات، ووضع السلاح وحقن الدماء، كما حصل مع عمر بن الخطاب الذي حضر سنة ١٥هـ من الحجاز إلى فلسطين حقناً للدماء، وليكتب عهداً لأهلها من أجل تثبيت الحقوق لهم الأمر الذي

قاد إلى إقامة دعائم السلام، والوقوف في وجه المؤامرات الخارجية،ومنع التحالف على الفتن، ومنع الاقتتال القبلي والداخلي، وصد العدوان الخارجي. هذه المهمة الرسالية الإنسانية هي ما يجب أن نتمسك به وأن نعمل جميعاً مسلمين ومسيحيين على تكريسه وتثبيته، لتعود فلسطين كما كانت عاصمة المحبة والسلام للإنسان في كل زمان.

ملحق(نص العهدة العمرية)

بسم الله الرحمن الرحيم؛ هذا ما أعطى عبد الله عمر أمير المؤمنين أهل إيلياء من الأمان: أعطاهم أماناً لأنفسهم وأموالهم، ولكنائسهم وصلبانهم، وسقيمها وبريئها وسائر ملتها. إنه لا تسكن كنائسهم ولا تهدم، ولا ينتقص منها ولا من حيزها، ولا من صليبهم ولا من شيء من أموالهم، ولا يكرهون على دينهم ولا يضار أحد منهم، ولا يسكن بإيلياء معهم أحد من اليهود.

وعلى أهل إيلياء أن يعطوا الجزية كما يعطي أهل المدائن، وعليهم أن يخرجوا منها الروم واللصوت. فمن خرج منهم فإنه آمن على نفسه وماله حتى يبلغوا مأمنهم. ومن أقام منهم فهو آمن. وعليه مثل ما على أهل إيلياء من الجزية. ومن أحب من أهل إيلياء أن يسير بنفسه وماله مع الروم، ويخلي بيعهم وصلبهم، فإنهم آمنون على أنفسهم وعلى بيعهم، وصلبهم، حتى يبلغوا مأمنهم. ومن كان بها من أهل الأرض قبل مقتل فلان، فمن شاء منهم قعد، وعليه مثل ما على أهل إيلياء من الجزية، ومن شاء سار مع الروم، ومن شاء رجع إلى أهله. فإنه لا يؤخذ منهم شيء حتى يحصد حصادهم.

وعلى ما في هذا الكتاب عهد الله وذمة رسوله، وذمة الخلفاء وذمة المؤمنين، إذا أعطوا الذي عليهم من الجزية.

شهد على ذلك خالد بن الوليد، وعمرو بن العاص، وعبد الرحمن بن عوف، ومعاوية بن أبي سفيان، وكتب وحضر سنة خمس عشرة. [٥١]

المراجع:

([١]) السيد حسين، عدنان ، المواطنة، بيروت، منشورات الجامعة اللبنانية – قسم الدراسات الاجتماعية، ط١، ٢٠١٣م، ص ٣٠ وما بعدها.

([٢]) ن.م، ص ٣١.

([٣]) الموسوعة الفقهية،وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الكويت، مطابع دار الصفوة، ط١، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م، ج/٣١، ص ٣٣.

([٤]) ابن منظور، جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم (-٧١١هـ)، لسان العرب، تحقيق: عامر أحمد حيدر، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م، ج٣، ص ٣٨٢-٣٨٧. راجع:

- زمخشري، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر بن أحمد (-٥٢٨هـ)، أساس البلاغة، تحقيق: محمد باسل عيون السود، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م، ج١، ص ٦٨٧.

([٥]) سعيفان، أحمد، قاموس المصطلحات السياسية والدستورية والدولية، بيروت، مكتبة لبنان ناشرون، ط١، ٢٠٠٤م، ص ٣٧٩ وما بعدها.

([٦]) ن.م، ص ٣٨٠.

([٧]) الطبري، أبو جعفر، محمد بن جرير،

تاريخ الأمم والملوك، بيروت، دار الفكر، ط١، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م، ج٤، ص ٤٣٤-٤٤٠.

- اليعقوبي، أحمد بن إسحاق بن جعفر بن وهب بن واضح البغدادي (-٢٩٢هـ)، تاريخ اليعقوبي، علق عليه: خليل المنصور، بيروت، دار الكتب العلمية، ط٢، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م، ج٢، ص ١٠١.

- حميد الله، محمد، مجموعة الوثائق السياسية، بيروت، دار النفائس، ط٦، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م، ص ٤٨٧-٤٨٨.

([٨]) ابن منظور، لسان العرب، م.س، ج١٣، ص: ٢٤-٣٢. وراجع: الموسوعة الفقهية، م.س، ج١، ص ٦٨٧.

-الجرجاني، الشريف علي بن محمد، التعريفات، بيروت، دار الكتب العلمية، ط٣، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م، ص ٣٧.

([٩]) الموسوعة الفقهية، م.س، طباعة ذات السلاسل، ط٢، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م، ج٦، ص ٢٣٣-٢٣٤.

([١٠]) ابن قيم الجوزية، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر (-٧٥١هـ)، أحكام أهل الذمة، تحقيق: الدكتور صبحي الصالح، بيروت، دار العلم للملايين، ط٤، ١٩٩٤م، ج/٢، ص ٦٥٨ وما بعدها.

([١١]) الواقدي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن واقد (-٢٠٧هـ)، فتوح الشام، صححه: عبد اللطيف عبد الرحمن، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م، ج١، ص ٢٣٣.

([١٢]) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، م.س، ج٢، ص ١٠١.

([١٣]) ابن قيم الجوزية، أحكام أهل الذمة، م.س، ج٢، ص ٦٥٧ وما بعدها.

([١٤]) ن.م، ص ٧٣٥ وما بعدها.

(١٥) حميد الله، مجموعة الوثائق السياسية، م.س، ص٥٧.

([١٦]) ابن قيم الجوزية، أحكام أهل الذمة، م.س، ج٢، ص ٦٦٣.

([١٧]) ن.م، ن.ص.

([١٨]) ن.م. ن.ص.

([١٩]) ن.م، ج٢، ص ٣٥٧-١٠٦٤.

([٢٠]) ابن قيم الجوزية، أحكام أهل الذمة، م.س، ص ٦٦٦ وما بعدها.

([٢١]) ن.م، ج٢، ص ٦٥٨.

([٢٢]) حميد الله، مجموعة الوثائق السياسية، م.س، ص ٤٨٧-٤٨٨.

([٢٣]) ن.م، ص ٤٩٤.

([٢٤]) ن.م، ص ٤٩٤-٤٩٥.

([٢٥]) ن.م، ص ٤٩٥.

([٢٦]) ن.م، ص ٥٠٢.

([٢٧]) الخراج، لأبي يوسف وليحيى بن آدم القرشي والاستخراج لابن رجب الحنبلي، بيروت، دار المعرفة، ط١، د.ت، ١مج.

([٢٨]) أبو عبيد القاسم بن سلام(-٢٢٤هـ)،الأموال، تحقيق: محمد خليل هراس، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٩٨٦م، ١مج، ص ٦٢٢.

([٢٩]) الألباني، محمد ناصر الدين، إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، ط٢، ١٩٨٥م، ج٥، ص ١٠٣. راجع أيضاً: الألباني، سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة، مكتب المعارف، ط١، د.ت، ١٤ج، موقع المكتبة الوقفية. وقد ناقش الألباني سند العهدة، فقال: وإسنادها ضعيف جداً من أجل يحيى بن عقبة، فقد قال ابن معين: ليس بشيء.

وفي رواية: كذاب، خبيث، عدو الله، وقال

البخاري: منكر الحديث، وقال أبو حاتم يفتعل الحديث. راجع: عصام تليمة، العهدة العمرية، موقع الجزيرة مباشر للدراسات.

([٣٠]) الصلابي، محمد علي، سيرة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، بيروت، دار المعرفة، ط١، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م، ص ٦٥٠.

([٣١]) الصلابي، محمد علي، الدولة الأموية، بيروت، دار المعرفة، ط١، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م، ٢ج، ص ١٤٢٠.

([٣٢]) شمس الدين، محمد مهدي، الحوار الإسلامي المسيحي نحو مشروع للنضال المشترك، بيروت، مؤسسة الإمام شمس الدين للحوار، ط١، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م، ص ٥٩.

([٣٣]) السيد، رضوان، سياسيات الإسلام المعاصر، بيروت، دار الكتاب العربي، ط١، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م، ص ٢٥١-٢٥٢.

([٣٤]) صدر عن المؤتمر الحادي عشر لوزراء الخارجية التابعين لمنظمة المؤتمر الإسلامي في دورته المنعقدة في طهران ١٩٨٩.

([٣٥]) صدر عن المجلس الإسلامي بلندن، وأعلن في إجتماع عقد بمقر منظمة اليونسكو بتاريخ ١٩٨١/١٢/١٩؛ عكف على تحضيره ودراسته خمسون مفكراً وشخصية إسلامية.

([٣٦]) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، م.س، ص ٤٣٤-٤٤٠.

([٣٧]) ابن الحكم، عبد الرحمن بن عبد الله، فتوح مصر وأخبارها، تحقيق: محمد الحجيري، بيروت، دار الفكر، ط١، ١٩٩٦م، ج١، ص ١٨٣.

([٣٨]) المجذوب، محمد سعيد، الحريات العامة وحقوق الإنسان، طرابلس – لبنان، جروس برس، ط١، ١٩٨٦م، ص ٩٠ وما بعدها.

([٣٩]) زيدان، عبد الكريم، أحكام الذميين والمستأمنين في دار السلام، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ/١٩٨٢م، ص ٨٨.

([٤٠]) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، م.س، ص ٤٣٤-٤٤٠.

([٤١]) المجذوب، الحريات العامة، م.س، ص.٩٠ و ما بعدها.

([٤٢]) الطبري، تاريخ الأمم و الملوك، م.س ، ص ٤٣٤ و ما بعدها.

([٤٣]) المجذوب، الحريات العامة، م.س، ص: ٩٢.

([٤٤]) الخالدي، عبد الله، شذرات من مادة النظم الإسلامية، بيروت، دار الرشاد الإسلامية، ط٢، ١٤١١هـ/١٩٩٠م، ص٧٨.

([٤٥]) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، م.س، ص ٤٣٤-٤٤٠.

([٤٦]) رضا، محمد، الفاروق عمر بن الخطاب، بيروت، دار الكتب العمية، ط١ ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م، ص١٩١.

([٤٧]) المجذوب، الحريات العامة،م.س، ص ٩٢.

([٤٨]) الطبري،تاريخ الأمم و الملوك، .م.س.ص ٤٣٤ و ما بعدها.

([٤٩]) الزحيلي، وهبة، العلاقات الدولية في الإسلام، دمشق، دار الفكر المعاصر، ط٢، ٢٠١٨م، ص ١٤٨.

([٥٠]) ابن هشام، السيرة النبوية، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شلبي، بيروت، دار المعرفة، د.ت، ج١، ص ١٣٣.

[٥١] حميد الله، الوثائق السياسية، م.س، ص٤٨٨.



تعريف بمصطلحي القراءات المعرفية والمنهجيات الأصولية (١)

بقلم: الدكتور قطب سانو
ماليزيا

أولاً: مصطلح القراءات المعرفية

نقصد بها الدراسة العلمية الموضوعية المنهجية النقدية التي تقوم على تحليل أمين موضوعي لأثر الظروف الفكرية والأحوال السياسية والاجتماعية في نشأة المنهجيات والأفكار والمبادىء. كما تقوم على تحليل أثر الزمان والمكان وتأثيرهما بالمنهجيات والأفكار والمبادىء. وتنطلق هذه القراءة من اقتناع مفاده أن المنهجيات والأفكار والمبادىء لا تنشأ -بأي حال من الأحوال- بمعزل عن الظروف الفكرية والأحوال السياسية والاجتماعية السائدة، بل للظروف والأحوال تأثير مباشر وغير مباشر بتلك المنهجيات والأفكار عند تشكلها وتكوينها، وهو ما يعني أن التغيرات والتطورات التي تطرأ على الظروف الفكرية والأحوال السياسية والاجتماعية تترك أثرها الجلي في الأفكار والمنهجيات، ولذلك فإن النهوض بمنهجية أو مبدأ يظل مرهونا بمدى إستيعاب أربابها أثرالظروف والأحوال فيها، فإذا وعوا ذلك الأثر، كان بمقدورهم الارتقاء بها وتنقيتها من الجانب الظرفي الذي ولى عهده. وتعرف هذه القراءة في الدراسات المنهجية الحديثة بالقراءة المعرفية.

ثانياً: مصطلح المنهجيات الأصولية

إننا نقصد بمصطلح المنهجيات الأصولية في الدرس الأصولي، الطريقة العلمية التي سار فيها مؤسسو المدارس الأصولية، وتتمثل هذه المنهجيات بمنهجيتين رئيستين، ومحاولتين منهجيتين، فأما المنهجيتان الرئيستان، فهما: المنهجية الشافعية، والمنهجية الحنفية، وأما المحاولتان المنهجيتان، فهما: المحاولة المنهجية الموسومة بمنهجية الجمع بين المنهجيتين، والمحاولة المنهجية الشاطبية، وهذا تحديد لمضامين كل واحدة من هذه المنهجيات:

أولاً: المنهجية الشافعية

نروم بها تلك المنهجية الأصولية التي تكونت في حقبها الأولى عن طريق استقراء نصوص الكتاب الكريم والسنة النبوية الطاهرة، ومراعاة أساليب اللغة العربية وقوانينها وآدابها ومعهوداتها، واستفادت في حقبها المتأخرة من قوانين المنطق اليوناني/الأرسطي. وتتميز هذه المنهجية من قيامها على تقرير الأصول، وتقعيد القواعد تقعيداً نظرياً سائراً مع العقل والبرهان من دون نظر إلى اجتهادات أئمة المذاهب الفقهية المدونة والسائدة، بل ينبغي أن تعرض تلك الاجتهادات كلها على القواعد الأصولية المستخلصة من نصوص الكتاب والسنة وقوانين اللغة ومعهوداتها، ذلك لأن القاعدة الأصولية في هذه المنهجية تعد سيدة وحاكمة على الاجتهادات وفتاوى الأئمة السابقين بغض النظر عن مكانة قائليها ومنزلتهم، وتعتبر هذه المنهجية استقرائية، لأن القواعد المنبثقة عنها تشكلت بوساطة استقراء نصوص الكتاب والسنة ومعهودات لسان العرب بتصفح آحاد

الآيات والأحاديث وكلام العرب. وإنما كانت هذه المنهجية استقرائية أيضاً لأن نتائجها أكبر من المقدمات التي أسهمت في تكوينها، شأنها في ذلك شأن كل دليل استقرائي. وقد اشتهرت هذه المنهجية بأسماء ثلاثة، وهي: المنهجية الشافعية، ومنهجية المتكلمين، ومنهجية الجمهور، وسميت المنهجية الشافعية نسبة إلى الإمام الشافعي الذي يعتبر مبتكر هذه المنهجية وأول من اهتدى إليها، وتسمى منهجية المتكلمين اعتباراً بكونها المنهجية الأصولية التي تقبلها سائر علماء الكلام من المعتزلة والأشاعرة، وتعرف هذه المنهجية أيضاً بمنهجية الجمهور نظراً إلى كونها المنهجية التي تلقاها جُلّ رواد المذاهب الفقهية الإسلامية بالقبول من شافعية ومالكية وحنابلة. فطريقة علماء هذه المذاهب في الأصول متحددة ومتفقة بصورة عامة. ويمكن التعرف على هذه المنهجية من طريقة التأليف التي ينتهجون، حيث إنهم في الغالب الأعم يبدأون كتاباتهم بالحديث عن مباحث الحكم. فمباحث الأدلة، ثم مباحث الاستنباط ومباحث الاجتهاد والإفتاء، ومن أهم الكتب المؤلفة على هذه المنهجية، كتاب الرسالة للإمام الشافعي، و كتاب التقريب و الإرشاد للباقلاني، و كتاب البرهان للجويني، وكتاب المستصفى للغزالي، وكتاب العمد للقاضي عبد الجبار الهمذاني، وكتاب شرح المعتمد لأبي الحسين البصري، ولهذه الكتب الأساسية شروح ومختصرات، من أهمها: المحصول للرازي الذي يعد شرحاً لكتاب المستصفى، وروضة الناظر وجنة المناظر لابن قدامة، والإحكام في أصول الأحكام للآمدي، والإحكام في أصول الأحكام لابن حزم، وشرح المنهاج للبيضاوي، ونهاية السول للإسنوي، ومختصر ابن الحاجب، وشرح تنقيح الفصول للقرافي، وإرشاد الفحول للشوكاني.

ثانياً: المنهجية الحنفية

نروم بها تلك المنهجية الأصولية التي تكونت -ردة فعل للمنهجية الشافعية- عن طريق استخلاص القواعد الأصولية من فتاوى الأئمة الأحناف واجتهاداتهم، اعتقاداً -من واضعي هذه المنهجية- أن أئمتهم إتبعوا تلك القواعد التي استنبطوها في اجتهاداتهم وفتاواهم. وتتميز هذه المنهجية من اتخاذها آراء أئمة الفقه الحنفي وفتاواهم واجتهاداتهم المختلفة مقاييس لتقرير القواعد الأصولية والاعتداد بسدادها وصحتها، وهو ما يعني أن الفروع الفقهية -آراء الأئمة- تعد سيدة وحاكمة على القواعد الأصولية، فإذا خالفت القاعدة الأصولية الفرع الفقهي، وجب تعديل القاعدة أو ربما استغني عنها.

وتعتبر هذه المنهجية منهجية استنباطية، لأن قواعدها الأصولية استنبطت من اجتهادات الأئمة المعروفة والمحصورة فيما تركوه من فتاوى وآراء إزاء مختلف المسائل والقضايا. كما أن نتائج هذه المنهجية من قواعد لا تكبر مقدماتها التي تكونت منها، فالقواعد الأصولية لا يمكن لها أن تخالف الفروع الفقهية، وتسمى هذه المنهجية بالمنهجية الحنفية، لأن علماء الحنفية هم الذين ابتكروها في منتصف القرن الثالث الهجري دفاعاً عن اجتهادات الأئمة التي مستها المنهجية الشافعية بالانتقاد والنقض، كما تعرف هذه المنهجية بمنهجية الفقهاء لكونها المنهجية الآخذة بالنظر الفقهي، أو لكونها المنهجية التي حافظت على التراث الفقهي الحنفي، ودافعت عن اجتهادات أئمة المذهب الأوائل.

وأما أهم الكتب المؤلفة على وفق المنهجية الحنفية، فهي كتاب الفصول في الأصول للجصاص، وكتاب تمهيد الفصول في الأصول للسرخسي، وكتاب الأصول للبزدوي، وشرحه كشف الأسرار عن أصول البزدوي للبخاري،

وكتاب المنار وشرحه للنسفي، وغيرها.

ويمكن التعرف على الكتب المؤلفة على وفق هذه المنهجية من خلال النظر في الطريقة التي يتبعونها في التأليف، حيث إنهم يبدأون كتاباتهم بالحديث عن مباحث الدليل، فمباحث الاجتهاد، ومباحث الاستنباط، ثم مباحث الحكم، وربما قدموا مباحث الاستنباط على مباحث الاجتهاد، ولكنهم يصرون على البدء بمباحث الدليل خلافاً للمنهجية الشافعية التي تصر على البدء بمباحث الحكم. وبطبيعة الحال، يعد الاختلاف بين المنهجيتين بشأن المباحث الأولى بالبدء اختلافاً مقصوداً، ذلك لأن المنهجية الشافعية ترى البدء ببيان كل ما يتعلق بالحكم الشرعي وأقسامه وخصائصه تمهيداً للحديث عن الأدلة الشرعية التي تصلح لإثبات تلك الأحكام الشرعية المختلفة. وأما المنهجية الحنفية فإنها ترى أن البدء بالتعرف على الأدلة وإقرارها هو الأولى انطلاقاً من أن الأساس هو الأدلة والأحكام نتاج الأدلة و أساسها.

ثالثاً: المحاولة المنهجية الشاطبية

قصدنا من الإشارة إلى هذه المحاولة، ما إهتم به الإمام الشاطبي في موافقاته من محاولة منهجية كانت تروم إيجاد تكامل بين فهم النص وتنزيل النص في الواقع المعيش، فلئن هدفت سائر المنهجيات الأصولية بيان سبل تفهم النص الشرعي، وأغفلت سبل تفهم الواقع المعيش، ووسائل الوصل بين النص والواقع، فإن المحاولة الشاطبية، التي أوشكت أن تكون منهجية أصولية ثالثة، سعت إلى تحقيق هذا التكامل. وتمثل هذا الهم المنهجي التكاملي بوساطة محاولته ما ابتكره من صياغة لمباحث الفكر الأصولي صياغة مقاصدية، وما انفرد به من تأصيل لبعد مآلات الأفعال في الفكر الصولي، فضلاً عما ذكره من ضبط علمي للفكر المقاصدي في الدرس الأصولي. وإنما اعتبرنا هذه الإبداعات محاولة منهجية لغلبة نزعة التردد والتوجس على الإمام الشاطبي، فضلاً عن غلبة الاختصار على طريقة عرضه لهذه الإبداعات والإشراقات التي نخال أن ظروفه الفكرية أحد الأسباب الوجيهة وراء هذا التردد والتوجس.

رابعاً: المحاولة المنهجية التوفيقية بين منهجيتي الشافعية والحنفية

يراد بهذه المنهجية المحاولات التوفيقية بين المنهجيتين: الشافعية والحنفية في صياغة القواعد وتقرير الأصول، وتنسب هذه المنهجية إلى عدد من علماء القرنين السابع والثامن، كالإمام ابن الساعاتي في كتابه الموسوم بديع النظام الجامع بين كتابي البزدوي والإحكام، والإمام صدر الشريعة في كتابه الذي عنونه بتنقيح الفصول وشرحه التوضيح، والإمام ابن الهمام في كتابه التحرير، وهذه المحاولات عند القائلين بها تتميز من استفادتها من مزايا المنهجيتين لتشكيل منهجية أصولية جديدة، كما تتميز من ابتعادها عن سلبيات تلك المنهجيتين، وخاصة المنهجية الشافعية التي تعد الأمثلة التطبيقية فيها شحيحة ونادرة؛ وبهذا يتبين لنا المراد بالمنهجيات الأصولية

[١] لمعرفة المزيد من المعلومات حول هذه المنهجية في الدراسات الحديثة، يراجع: أصول الفقه للإمام أبي زهرة، وأصول الفقه الإسلامي للشيخ عبد الوهاب خلاف، وأصول الفقه للدكتور طه جابر العلواني، والدكتور وهبة الزحيلي، وعبد الكريم زيدان، وغيرهم كثير فقد تناول هؤلاء المعاصرون هذه المنهجيات الأصولية تحت مسمى طريقة التأليف في أصول الفقه حيناً، ومنهج التأليف في أصول الفقه حيناً آخر.



مسلمو الأويغور - فجوة الألم في التاريخ النسي.

بقلم: د. حسام محي الدين
استاذ محاضر في قسم التاريخ – لبنان

تخالج بعضهم الرؤية بأن المجتمعات البشرية دخلت بمعظمها في حداثة القرن الواحد والعشرين التي تسعى الى كمال القيم الانسانية واكتمال تراكماتها التاريخية، ويقيسون على ذلك الأمثلة التي تساق من بعض النماذج الأوروبية أو «الغربية» في احترام الانسان ومحيطه الحيوي، وفي تطوير أساسيات الحياة الى مستويات يتعجب العقل من ملامح تنظيمها وتطويعها لخدمة الفرد، ولهذا صار يعتبر «المقدس» الوحيد على وفق هذه المنظومات الباحثة عن الحداثة باستمرار. غير أن الواقع التاريخي المعاصر للمساقات الاجتماعية المختلفة في الزمان والمكان ينافي هذه المقولة، حيث ان تاريخ الدول لا يسير بشكل متوازٍ وبالرتابة ذاتها، ولا يتحرك بذات السرعة باتجاه الحداثة والتطوير، وبحثاً عن ابتكار عقل الانسان لكل ما هو في خدمة الانسان. و التباطوء التاريخي في كثير من الأحيان، يكون بفعل رغبة المجتمع بشقيه الاجتماعي والسياسي في إبقاء القديم على قدمه، إما خوفاً من الاستجابة لتحدّ الحداثة بكل تفاصيلها، مما يوقف ساعة تطوره حسب نظرية «أرنولد توينبي»، أو إعراضاً عن فكرة الارتقاء بالفرد الى مرتبة الأولوية في الدولة وسلم اهتماماتها.

لقد تباينت حركة التاريخ حسب التموضع الجغرافي، وحسب سياق الأحداث الكبرى، فلكل حضارة مسارها، على وفق تباين استجابتها للأحداث وتجاوبها مع استخلاص النتائج والرغبة في التغيير والارتقاء. ففي حين تبدل الزمان بأبعاده المختلفة في أماكن مختلفة من القارات، حيث أصبحت الدولة بأجهزتها في خدمة الفرد والمجتمع، وحاضرة من أجل ضمان استمرارية نسيجهما المتداخل وتقدمه وحداثته، نجد في المقابل جمود (العالم القديم) في مواقفه، وتعنتت كثير من الدول في محافظتها على مفاهيم القرنٍ الماضي، إن لم نقل القرون الماضية رافضة التحول الى خدمة الفرد، مصرةً على عبودية المجتمع للدولة، ودخوله الأبدي في خدمة قيامها وأفكارها ومبادئها غير القابلة للنقض.

ومن الملفت للنظر أن ما اعتبره المؤرخون «ماضٍ» انقضى، عند الحديث عن جرائم التاريخ عبر «محاكم التفتيش» بعد سقوط الاندلس، والتطهير العقائدي للاسلام وللغة العربية في تلك الربوع في سياق حرب الاسترداد، والتي قادها الرهبان في تلك الحقبة، و يبدو أنه ما زال «حياً» يعيد نفسه بأشكاله الهمجية في الطرف الآخر من الخريطة الجغرافية. إذ يتعرض مسلمو الأويغور في تركستان الشرقية الى أبشع الأساليب في محاولة تطويعهم وتذويب عقيدتهم بالقهر والترهيب. هناك، حيث يتناقض التاريخ مع السرعة الحداثية في أوروبا، ويتحرك التاريخ ببطء شديد، ليعيد انتاج التطهير العقائدي، بأبشع الوسائل، كما لو أن «التطهير العقائدي» فيروس بشري يأبى الأفول منذ الزمن الانساني الأول، منذ قرباني قابيل و هابيل.

هذا و يتمركز الأويغور في اقليم سنجان (ينجيانغ)، في أقصى شمال غرب الصين، ويعود تاريخ دخول الاسلام الى هذه المنطقة الى حقبة الخليفتين عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان، والرسل الدعاة الذين نجحوا بإدخال الاسلام الى تركستان الغربية، فيما دخل الى تركستان الشرقية ببطء عبر فتح قتيبة بن مسلم الباهلي. وفي القرنين التاسع والعاشر، حكم الأتراك المنطقة بمملكتين مختلفتين هما مملكة قوشو البوذية وخانات القراخانات المسلمة؛ وتحولت المنطقة للإسلام على أيدي المسلمين الأتراك في القرن العاشر الميلادي تحديدا في ٩٣٤ م حينما اعتنق «ستوق بغراخان» الإسلام حاكم دولة القراخانات وجعله الدين الرسمي للبلاد. وعندما أسلم ستوق بغراخان، أسلمت ٢٠٠,٠٠٠ ألف عائلة في تلك المنطقة مما يعني قرابة المليون شخص، مما غيّر من معالم عقيدة المنطقة للأبد. وبعدها استولى الزعيم القاراخندي يوسف قادر خان على مملكة خوتان البوذية حوالي ١٠٠٦م، و كانت تلك لحظة محورية في تتريك حوض تاريم وانتشار الاسلام فيه. وبهذا التحول، تحول المسلمون الى أغلبية في هذا التموضع على بوابات طريق الحرير الرئيسية. غير أن التموضع السياسي بين قوتين كبيرتين، أدى لمعاناة استراتيجية، وأدخل تركستان في صراع مرير وطويل في محيط بشري مغاير يحاول ابتلاعه؛ فتارة يحتل أرضها الروس في غزو قادم من الغرب، وتارة أخرى تأتيه جحافل الغزاة من الصين. والمفارقة الغريبة أنه في العصر الحديث، نجحت خمس جمهوريات إسلامية في تركستان الغربية بنيل استقلالها عقب انهيار الاتحاد السوفيتي، وهي جمهوريات كازاخستان وأوزبكستان وتركمانستان وطاجيكستان وقيرغيزستان. أما تركستان



الشرقية، فقد اصطدمت بالشيوعية الصينية منذ نشأة دولتها وخاضت معها معارك شرسة: ففي عام ١٩١٢، تأسست جمهورية الصين. ومع فرار يوان داهوا آخر ملوك تشينغ من سنجان، تسلّم أحد معاونيه، يانغ زينغشين، مقاليد الحكم في المقاطعة وألحقها اسميًّا بجمهورية الصين في مارس من العام نفسه.

وفي بدايات الثلاثينيات من القرن العشرين، هبّت عبر أرجاء سنجان عدة حركات تمرّد ضد حكم خليفة يانغ، جين شورين، وعادةً ما كان قادتها من المسلمين الصينيّين. ولم توفق بإعلانٍ استقلالها سوى عام ١٩٣٣ لسنة واحدة تقريباً، لتعود اليها الهجمات الصينية بشكلٍ عنيف ومتكرر، ثم لتقوم الصين بإحتلالها نهائياً عام ١٩٤٩؛ وعمدت الى تغيير اسمها لتصبح «شينجيانغ» وتعني بالعربية المستعمرة الجديدة، وجعلت لها حكماً ذاتياً بشكل صوري. ومنذ ذلك الحين، عانى سكان تركستان من القهر والاضطهاد و بمستويات تشتد قسوة أمام كل محاولة للتمسك بهوية الأويغور ورفض محوها من الخريطة الجينية للمجتمعات الانسانية.

ويبدو أن الخوف الصيني من مساحة تعادل ١٦,٥٪ من مساحة الصين ينعكس ذهنياً من التاريخ الوسيط، بدافع الخوف من موجة زمنية تعيد الفتوحات الاسلامية، وهو خوف غير مسوّغ

و لا مقبول. كما يعود الى الرغبة في السيطرة والاستيلاء على موارد هذه الجمهورية القديمة، وهي غنية بالموارد الطبيعية (البترول، الفحم، الرصاص، النحاس، الزنك واليورانيوم). ولا تبدو النوايا الصينية في التعامل مع هذه المقاطعة عادلة، ولا ترتكز فقط في احباط كل محاولات الاستقلال مجدداً، بل يبدو أن الصين المؤدلجة بشكل صارم، تخطط لحروب إلغاء منظمة، وعمليات إبادة عرقية إن صح التعبير، وحروب طمس عقيدي و فكري، وهو أيضاً غير مقبول في العصور الحديثة. وهي تتعامل على قاعدة حصار شعب الأويغور، وتذويبه سياسياً، و تقوم بذلك عبر جمع المسلمين ونقلهم إجبارياً إلى «معسكرات التوعية السياسية». ولا يعنيها بقاء هذا الشعب كأولوية إذ تشير المعلومات الى أن الصين أجرت ٤٦ تجربة نووية منذ العام ١٩٦١ في موقع لوبنور في سنجان، بدون الأخذ بعين الاعتبار التأثيرات النووية الضارة بالسكان المسلمين. وهذا الأداء الصيني العنيف لن يقنع المجتمع الدولي المتجه نحو احترام حقوق الانسان في مساره التاريخي الشاق، ولن يستمر طويلاً ربما تحت ضغوط المنظمات الانسانية التي تحشد لرفض هذا القهر العديد من الأدلة والشواهد على إبادة عرق بكامله، وعلى تصفية عقائدية للملايين.

إن سياسة الابادة المبنية على الالغاء الديني أو الطائفي، وإجراءات التطويع الايديولوجي القهري، والتي تمارس في هذا العصر، تبدو كما لو أنها آتية من العصور القديمة والوسيطة، وكأن محاكم التفتيش يعاد انتاجها في مكان آخر من الكرة الأرضية. ولا يمكن مع هذه الفجوة التاريخية الا أن يعود التاريخ المعاصر لاستهجانها وابتلاعها كغيرها من الموجات الزمنية المنسية التي أفلتت من الحداثة. ولا يعني ذلك، أن يقف العالم، لاسيما العالم الاسلامي مكتوف الأيدي أمام موجات



الاضطهاد في الصين وغيرها، وأن يقف موقف المتفرج من الابادة الطائفية التي تنتشر هنا وهناك؛ إذ لا بد من موقف، ولا بد من تحرك على مستوى المجتمع الدولي، لرمي تلك الحصاة في بركة ماء المجتمع الدولي، وذلك أضعف الايمان بالنسبة للمجموعات العربية والاسلامية ولو طغى عليها حالياً طابع التنافر العام. من ناحية ثانية، في عالم التكتلات الكبرى، يبدو من الخطيئة بمكان، استمرار ذلك التنافر وذلك البرود في التجمعات العربية السياسية الكبرى، وفي التجمعات الاسلامية الدولية، إذ فقدت هذه الجماعات ديناميتها التاريخية، وسقطت في «ثقب اسود» زمني؛ وبفعل صراعاتها الداخلية أولاً، والمؤمرات الخارجية ثانياً، و استحوذ هذا التغييب الزمني عليها، فأخرجها من التاريخ. علما انه ليس من المستحيل التخلص من هذا الجمود التاريخي، إذا ارتبطت مبادرة الخلاص، بالنوايا الحسنة، وبالرغبة في صنع الحدث، وفي فتح هوامش التعاون بدل التباغض. إذ لا يمكننا الافلات من غابة تلتهمها النيران، فيما نحن نتنازع أفضل المقاعد حول الخيمة التي احترقت تحت أنظارنا. نحن مهيئون للخروج، ولكننا نحتاج لقوة الكلمة، قوة الكلمة التي يُسمع صداها في عالمنا الاسلامي المترامي، فتُنجد المستغيث، وتُسكن جراح المتألم ولو في أقاصي الأرض.



الشيخ وهبه الزحيلي والتقليد الفقهي والثورة السورية

كتابة : د.رضوان السيد

كاتب وأكاديميّ وسياسي لبناني
استاذ الدراسات الإسلامية في الجامعة اللبنانية

توفّي الشيخ وهبة الزحيلي بدمشق عن سنٍ عالية. وقد كان منذ الستينات والسبعينات منَ القرن الماضي بين أربعةٍ أو خمسةٍ هم أشهر علماء الشام، أما في العقدين الأخيرين فقد صار أول اثنين أو ثاني اثنين، والآخر هو الشيخ محمد سعيد رمضان البوطي. والنشأة العلمية واحدة، فبعد دمشق تابعا دراساتهما الجامعية بالأزهر، وحصلا على الدكتوراه من هناك أيضاً. وقد اشتهرت أُطروحة الزحيلي، كما اشتهرت من بعدٍ أُطروحة البوطي. أما الزحيلي فقد كتب أطروحته عن: «آثار الحرب في الفقه الإسلامي»، وأما البوطي، فقد كتب أطروحته في «ضوابط المصلحة في التشريع الإسلامي». وإذا كان الرجلان قد تشابها في التقليد المذهبي(المذهب الشافعي) وفي الدراسة؛ فإنّ الأصول الثقافية والمزاج والعلاقات بنظام الأسدَين والاجتماع السوري العام، اختلفت اختلافاً شاسعاً.

أما الزحيلي فقد مارس حياداً صارماً على الرغم من كتاباته الجامعية التي تتدخل في الشأن العام باسم الإسلام، وأما البوطي ذو الأصول الكردية والصوفية فقد ظلّ قريباً باختياره واختيار النظام من حافظ الأسد وابنه، وفي النصف الثاني من الثمانينات لعب البوطي دوراً في تهدئة الأمور بين الأسد والمنفيين أو الهاربين من الإخوان والمحسوبين عليهم(بعد



واقعة حماة عام ١٩٨٢). وفي حين يقلّل كارهو البوطي من شأن ما قام به وأنه كان لصالح النظام فإنّ آخرين قالوا لي ومنهم البوطي نفسه إنه بفضل حركته وثقة الأسد به، مكّن ثلاثة آلاف سوري من العودة إلى ديارهم أو السماح لهم بالحركة الحرة بين الداخل والخارج!

ينتمي وهبة الزحيلي (وأخوه محمد والبغا والنابلسي والبوطي وأديب الصالح والعتر وآخرين عديدين من جيلي السبعينات والثمانينات) إلى فقهاء التقليد الإصلاحي

الإسلامي الذي استقر بالأزهر أيام شيخه محمد مصطفى المراغي وشيخه مصطفى عبد الرازق، اللذين تتلمذا على محمد عبده، وكسبا المؤسسة إلى ميراثه في الثلاثينات والأربعينات من القرن الماضي. وقد حسبتُ الزحيلي وزملاءه جميعاً على الأزهر على الرغم من أنهم ما تخرجوا جميعاً فيه وبخاصةٍ بعد الثمانينات من القرن الماضي، لأنّ علماء بلاد الشام والعراق من السُنة، ما استطاعوا أو ما مالوا حقاً إلى إقامة مرجعيات عقيدية وتعليمية في ديارهم أو مدنهم الكبرى بعد ذهاب العثمانيين. بل إنّ كثيراً من طلاب العلم الديني في مدن بلاد الشام كانوا يذهبون إلى الأزهر منذ أربعينات القرن التاسع عشر. وقد أتاح الأزهر وأتاحت مصر لكل المذاهب الفقهية تعليماً ثانوياً وآخر عالياً، ومِنَحاً، واستقبالاً ودوداً؛ بل وبدأ منذ ثلاثينات القرن العشرين يرسل معلّمين وشيوخاً من أجل التعليم الديني في المدارس والمعاهد الناشئة في فلسطين وسورية ولبنان والعراق.

وما سمح عسكريو وأمنيو الدولة الوطنية من جهتهم أيضاً في نشوء مرجعيات دينية أو إسلامية كبرى كمؤسسات أو شخصيات. وهذا فرقٌ آخر بين ضباط ثورة يوليو، وسائر الآخرين بمشارق العالم العربي ومغاربه. بل إنّ بعضهم رغب في أن يذهب طالبو الدراسات العليا في العلوم الدينية إلى الأزهر باعتباره يمثل الإسلام المعتدل الذي لا يتعاطى السياسة. وما أنشئت كلية الشريعة بجامعة دمشق، والأخرى بجامعة بغداد إلاّ في الستينات والسبعينات. وفي كلية الشريعة هذه درّس سائر الذين ذكرناهم من فقهاء الشام.

بدا التقليد الفقهي السُني (تقليد المذاهب) مزدهراً في الشام ومصر والعراق فيما بين الأربعينات والسبعينات. فقد ألّف الفقهاء في كل شيء من فقه المذاهب (الحنفي والشافعي على وجه الخصوص) وإلى تفسير القرآن، والفقه المقارن، والفقه والقانون، ومشكلات الشباب، والتيارات المعاصرة والإسلام، والإعجاز العلمي في القرآن. وعلى الرغم من أنّ معظم هذه المؤلفات ذات طابع مدرسي؛ فإنها تميزت بفتح باب الاجتهاد على مصراعيه، ومحاولات التلاؤم حتى مع الاشتراكية والرأسمالية، والقول بحجية المصلحة في التشريع، وإمكانيات الحكم المدني.

وتميز الشيخ البوطي من التأليف في الحياة الروحية، وفي الحوار بين الأديان والمذاهب، وكتب في سلمية الجهاد ودفاعيته.

منذ التسعينات، كنتُ أتجادلُ مع الشيخ البوطي، وأكثر مع الشيخ الزحيلي بشأن مصائر التقليد الإسلامي. وكان رأيي منذ ذلك الحين أنه تحت وطأة السلفيات الجديدة والإخوانيات فإنّ التقليد انهار على الرغم من انفتاح كبار رجالاته على الإصلاح، وحلّت محله الإحيائيات الجديدة والتي صارت إسلاماً سياسياً وآخر جهادياً. وكان الشيخ البوطي يعترف بوجود انقسام، لكنه كان ينبهني على شعبيات الإحياء الصوفي، وعلى خطورة تسييس الإخوان للإسلام. أما الشيخ الزحيلي فإنه كان ينكر ذلك تماماً، وينبهّني على شعبية كتبه. فقد كتب موسوعة: «الفقه الإسلامي وأدلته» في ثماني مجلدات طبعت عدة مراتٍ بالعربية، وتُرجمت على الرغم من ضخامتها إلى عدة لغاتٍ إسلامية. وقد استغربتُ في التسعينات ما قاله لي اللواء غازي كنعان عن «شرور» مالك بن نبي المفكر الجزائري الذي قضى سنيَّ عمره الأخيرة (١٩٦٨-١٩٧٥) بين سورية ولبنان، لأنّ مالكاً عام ١٩٧٠ نبهّني على انهيار تقاليد فقه الدين



وتقاليد فقه العيش في أوساط الشبان، وظهور بروتستنتيات متشددة في أوساط الشبان، وهي مضرةٌ بالدين أكثر من إضرارها بنظام الدولة الوطنية بالجزائر وسورية ومصر؛ قال: ينبغي مكافحة العنف في عقول الشباب!

وجاء العام الفاصل، ٢٠١١. فأما الشيخ البوطي وباسم المسالمة وطاعة السلطة العادلة كما هو مذهب أهل السنة؛ فإنه ظلّ مع بشار الأسد وليس بالصمت، بل بالكلام اليومي والعالي الوتيرة وتشبيه الأسد وضبّاطه بأصحاب رسول الله!

وأمّا الشيخ الزحيلي فقد قلّت مراتُ مغادرته لدمشق. وما قال كلمة مع النظام أو ضدّه، لكنْ عندما رأيتُه مطلع العام ٢٠١٢ كان كأنما كبر عشرين سنة، قال لي على حدة:» لقد غادر الزملاء والتلامذة، وما بقي بدمشق غير دراويش البوطي وأنذال لبنان بالتلفزيون السوري. قل لي كيف يكون زبانية النظام القاتل أصحاباً لرسول الله (صلى الله عليه و سلم)، ثم في الوقت نفسه كيف تريدني ان أقبل مقولة القرضاوي بارتداد النظام وضرورة الجهاد ضده؟!

وقبل ثلاث سنوات لا أكثر جاء القرضاوي مبعوثاً من أمير قطر ليمدح الرئيس المجاهد بشار الأسد، الذي ارتدّ الآن في نظره ونظر قطر فيما يبدو. ذكرْني يا ابني كيف كان يقول مالك بن نبي عن فقه الدين وفقه العيش، «لا أريد الآن إلاّ توقف القتل، فأنا أشعر أننا مقبلون على ما هو أشدّ هولاً، ، لقد زارني أستاذ إيراني وقال لي إنّ الخامنئي لن يتخلى عن الأسد لأنه يعتبره مثل ابنه(!)؛ ليتني متُّ قبل هذا وكنتُ نسْياً منسيا».

وعندما قتل البوطي بمسجده بدمشق عام ٢٠١٣ بطريقة غامضة وما ادعى أحدٌ المسؤولية، اتصلتُ بالزحيلي وعزيته فاكتفى كما في آخر مرةٍ بالقول: ليتني متُّ قبل هذا. رحم الله الزحيلي، ولطف عزّ وجلّ بسورية وباللإسلام!



دور المسلمين اللبنانيين بعد إنتفاضة تشرين

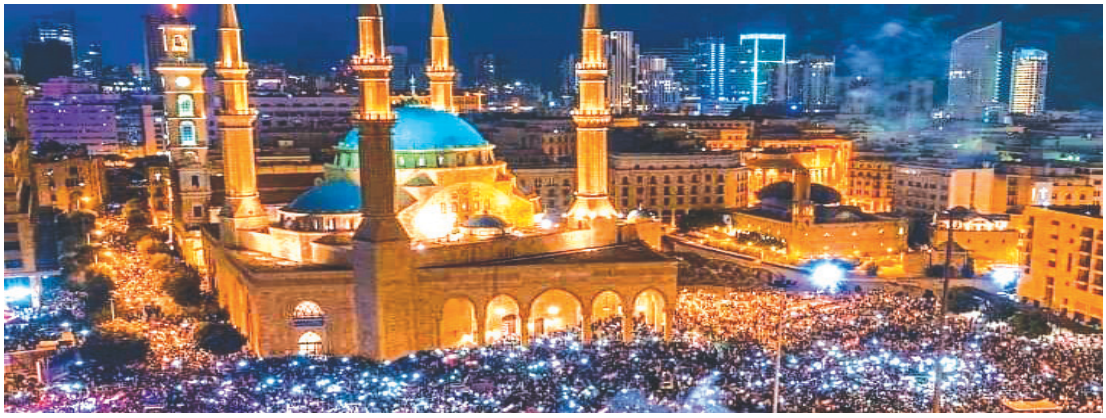
كتابة : د.وائل سهيل نجم
باحث وكاتب

الإنتفاضة الشعبية التي إندلعت في لبنان ليلة السابع عشر من تشرين الأول شكّلت حدثاً مفصلياً في المشهد العام اللبناني. صحيح أنّها لم ترتق - بعد لتكون «ثورة» حقيقية بما تعنيه الكلمة من معنى لأنّها لم تطرح مشروعاً لإزالة نظام وإقامة نظام ثوري بديل عنه، لكنّها أحدثت تحوّلاً مهمّا في الحياة العامة والسياسية التي كانت راكدة وكانت أسيرة فئة من السياسيين الذين يحكمون البلد، أو فئة من القوى السياسية المتحكّمة بقراره.

إنّ أبرز وأهم ما أنجزته انتفاضة تشرين أنّها أيقظت اللبنانيين، على تنوّعهم الفكري والعقيدي والسياسي، وعلى حقوقهم المسلوبة والمهدورة وعلى أموالهم المنهوبة، فسقطت عند أغلبية اللبنانيين مسألة الانتماءات، وصار التركيز الأساسي في مسألة الحقوق، وقد أحدث هذا المطلب تحوّلاً لا يُستهان به، إذ أنّه أقلق الفئة الحاكمة، ودفعها إلى اعتماد كل السبل والطرق لإفشال الانتفاضة ووضع العراقيل أمامها والعصي في دواليبها، واستطاعت هذه المحاولات الحدّ من إندفاع الانتفاضة مؤقتاً، وهو ما ظهر في حركة الشارع في الشهر الثالث، إلاّ أنّها كانت عبارة عن استراحة محارب، سرعان ما ستعود أقوى وأعنف خاصة في ظلّ تمسّك الفئة المهيمنة على مقاليد الأمور وعدم التنازل أو إعطاء الناس حقوقها وأموالها.

صحيح أنّ هناك جهات خارجية أو حتى داخلية حاولت، وما تزال، الإفادة واستغلال هذه الانتفاضة من أجل تحقيق مصالحها وأهدافها، وهذا ديدن الدول والأحزاب والشركات وحتى الأفراد؛ إلاّ أنّ إدراك ووعي الشارع لكل تلك المحاولات كفيل بقطع الطريق عليها وردّها، بل حتى جعلها هدفاً آخر للانتفاضة.

إنّ ما وصلت إليه الأمور حالياً لا يعني أبداً أنّ الفئة الحاكمة والمهيمنة أو الدول والجهات التي تحاول الاستغلال استسلمت وارتضت أن تخضع لمطالب الانتفاضة والمنتفضين، بل على العكس من ذلك تماماً، فإنّنا نجد أنّ هذه الفئة أو تلك الدول والجهات تبدع في ابتكار الأساليب والوسائل التي تخدم مصالحها وأهدافها، وهذا ما يحمّل الانتفاضة مسؤولية مضاعفة لإدراك تلك الوسائل والأساليب، وبالتالي التصدّي لها وإفشالها للحفاظ على الوطن، واستعادة حقوق المواطنين. إنّ آخر ما تفتقّت عنه ذهنية وعقلية الذين يستهدفون الانتفاضة أنّهم راحوا يستهدفون المكوّن الأساسي الذي يُعدّ ويُعتبر العمود الفقري لها، وأقصد بذلك المسلمين السنّة في لبنان، إذ كان ملاحظاً أنّ زخم الانتفاضة كان وما يزال يتركّز في المناطق ذات الكثافة أو الأغلبية السنّية من دون أن يعني ذلك عدم مشاركة وفعالية المكوّنات الأخرى، بل لعلّ أهم ما في هذه الانتفاضة أنّها تحرّكت خارج المربع الطائفي والمذهبي، وهو ما جعلها



تستعصي على كل محاولات الإضعاف والإفشال. إنّ أخطر ما في المحاولات الجديدة «الخبيثة» لاستهداف الانتفاضة ومشروع استعادة حقوق المواطنين وبناء دولة حقيقية تسود فيها منظومة الحقوق والقيم فيتكافأ فيها المواطنون على اختلافهم وتنوّعهم وتعدّد انتماءاتهم، التمهيد غير المباشر، والدعوات التي بدأت تطلّ برأسها لإضعاف الدولة ومؤسساتها، ومن ثمّ تركها للفراغ حتى تأتي جهات «مُختلقة» (صنيعة أجهزة) وتملأ هذا الفراغ على طريقتها الخاصة.

بصورة أدق وأوضح هناك ملاحظة خطيرة يجب التنبّه عليها، إذ أنّ الخطة المشبوهة التي يتمّ العمل بموجبها تهدف إلى إضعاف مؤسسات الدولة في بعض المناطق (الشمال خاصة) وإظهارها عاجزة وفاقدة للقدرة على تأمين مستلزمات المواطنين أو حماية نفسها، ومن ثمّ ترك الفرصة للناس للنيل منها ومن هيبتها وصولاً إلى سقوطها. ويتزامن ذلك مع دعوات مشبوهة للانفصال عن الدولة عبر اعتماد صيغة «حكم ذاتي» يؤمّن الماء والكهرباء والأمن وغير ذلك من المستلزمات الأخرى، ومن دون أن يكون معروفاً من يدير هذه «الصيغة الذاتية» ، كما يتزامن ذلك مع تضخيم قوة وإمكانية بعض الجهات والهيئات المحلية «المصطنعة» التي يمكن التحكّم بها، أو يمكن توجيهها بطرق غير مباشرة، والتي يمكن أن تقدّم صورة سلبية عن نفسها أو عن الفكر الذي يمكن أن يُحمّل لها، أو حتى عن البيئة التي تعيش فيها بما يسهّل على صانعي تلك «الصيغة» إطلاق صفات «الإرهاب» على «الكيان الذاتي الجديد» وبالتالي يُسّهل اختراقه واستهدافه واستهداف الانتفاضة ، لأن المعركة عندها لن تكون على المطالب المحقّة، بل على شيء آخر، تماماً كما حصل في بعض دول الجوار قبل سنوات.

إنّ المسلمين في لبنان، ومرجعياتهم على وجه التحديد، أمام مسؤولية كبيرة، ودور وطني عظيم. إنّهم أمام تحدّي استعادة حقوق الناس من ناحية، واستعادة بناء الدولة الحقيقية العادلة القوية والمسؤولة من ناحية أخرى، دولة كل اللبنانيين. والوقوف أيضاً بوجه أية دعوة للانفصال تحت أي عنوان، لأنّ من شأن ذلك دفع الأثمان الباهظة. كما وأنّ من مسؤوليتها الترفّع، في هذه الحقبة، عن الصغائر والحسابات الضيّقة والخاصة، والتصرّف بوحي من المسؤولية، وعلى أساس من الواجب الوطني، و بوساطة رؤية واحدة تتكامل فيها طاقات الجميع لبناء الدولة التي يحلم بها كل اللبنانيين، والتي لطالما كان أجدادنا ضمانتها على الدوام.



إنها نهاية القرن الديمقراطي!

كتابة: أورنيلا سُكّر

إن العالم يعيش حالة من الفوضى العميقة والازمات والصراعات الداخلية بفعل شيطنة المفاهيم وعدم ضبطها والتوفيق بينها مما يستدعي الأمر بشكل ملحّ توضيحات لا بد منها، وهي أن النظام الديمقراطي مثله مثل اي نظام آخر سواء الشيوعي، أو الفاشي ، أو النازي ، أو الإشتراكي ، أوغيرها، خاضع لعملية سوء إدارة وتفعيل إجتماعي تقوم على علاقة غير متكافئة مما تولد عنها مجتمعات تعاني التخريب والإفلاس والهشاشة البنيوية ليس بفعل نوعية النظام، بل بسبب عدم تطبيق روحانية النظام بشكله الصحيح، لأن العلاقة القائمة بين النظام والشعب ليست على المستوى الكافي من الفهم والإدراك والتجانس مما تولّد عنها مظاهر الفشل والإحتضار كتلك التي تعانيها أزمة الأنظمة الديمقراطية في الغرب، وهذا ما دفع الكاتب ديفيد رانشيمان لتأكيد أن الديمقراطية قد تحولت في الآونة الأخيرة إلى حرب أهلية بدون قتال" وهذا ما قد حذر منه أيضا فرانسيس فوكوياما في كتابه عن نهاية التاريخ.

ويحضرني في هذا الخصوص قول البرت كامو :أن سوء فهم المصطلحات هو الكفيل في إحداث سوء التفاهم والخلافات البشرية



والوقوع في الحروب الدموية .

من هنا نفهم أن الديمقراطية فعلا تحتضر كما عنونت مجلة " الفورين أفيرز" عن شهري مايو\يونيو (٢٠١٨) تحت عنوان صادم تصدر الغلاف وهو (هل تحتضر الديمقراطية) حيث تؤكد فيه أن التحول الكبير هو في كيف ضلت الديمقراطية الأمريكية طريقها للنجاح وانعدم معها الأمن وإنتشرالإنحلال الأخلاقي المتمثل بالتخلي عن مفهوم حقوق الإنسان وقيم الديمقراطية مما أدى إلى تزايد أزمات الديمقراطية في العالم عامة و الوطن العربي خاصة نتيجة من التدخل الأمريكي المغرض و السيء في الشؤون العربية .

لقد تم اشتقاق مفهوم الديمقراطية من المصطلح الإغريقي الشهير (ديموس



كراتوس)، الذي يعني حكم الشعب مما يعني مشاركة المواطنين في الحكم مباشرة بعضوية المجلس التشريعي وتتطور المشاركة لاحقاً إلى ديمقراطية تمثيلية بوساطة قيام المواطنين بانتخاب أعضاء المجلس لتمثيل مصالحهم، فهل بهذه الطريقة تمثلت مصالح الشعب فعلياً ؟ الجواب بطبيعة الحال لا لم تتمثل !،

فلو تمثلت لما وصل العالم الغربي خاصة إلى هذا الإنحلال والإنفلات الأخلاقي والإقتصادي والأمني والسياسي والتكنولوجي ؟؟

والحقيقة أن الخلل ليس في النظام الديمقراطي بحد ذاته، فلكل نظام إيجابيات وله سلبيات، لذا فالمشكلة هي في ضبط القوانين والمفاهيم المتفلتة. فالتحديات الأمنية ليست متمثلة بالإرهاب المسلح فقط، بل بالإرهاب الفكري والإقتصادي والسياسي والتكنولوجي وغيرها من المظاهر التي قد يتولد عنها تهديد وجودي وأمني حقيقي فعلا.

ففي هذه الظروف هل تتمكن الديمقراطية من إنقاذ نفسها أم أن التيارات اليمينية ستفرض نظاما بديلا و هنا من سيعرف ما هو البديل الجديد ؟!

ويمكننا إختصار أسباب أزمات الديمقراطية بخمسة عوامل انتجت مشكلات عدم توفر الكفاءة في تلبية الإحتجاجات المجتمعية وإدارة الصراعات السياسية بين النخب وصعود التيارات اليمينية الى الحكم كأعراض للأزمات الهيكلية التي يواجهها النظام الديمقراطي، ومن اهم أسباب هذا التراجع الديمقراطي ما يلي:

أولا: إنحسار المد الديمقراطي الذي اعقب نهاية الحرب الباردة وانهيار الاتحاد السوفياتي، اذ تصدعت تجارب الانتقال الديمقراطي في عدد كبير من الدول النامية بسبب الاضطرابات السياسية وصراعات السلطة والحروب الأهلية

وتعثر الإنتقال الديمقراطي والتنمية الإقتصادية زيادة على التدخلات الأجنبية للدول الغربية في شؤون غيرها من الدول فسبب إضعاف الدول النامية وتحويلها إلى دول هشة، مما أسهم في تراجع أو تحجيم المسار الديموقراطي لهذه الدول النامية.

ثانيا: إختلال التمثيل السياسي نتيجة تراجع ثقة الناخبين في قدرة المسؤولين المنتخبين على تمثيل مصالحهم في ظل تزايد تأثير رؤوس الأموال والنخب الإقتصادية على السياسيين بسبب التمويل الضخم للحملات الإنتخابية والدور المتزايد لجماعات الضغط في العملية الإنتخابية، وهو ما دفع بعض المحللين لوصف هذه العلاقة الوثيقة بين السياسيين ورجال الأعمال بمصطلح (حكم الأقلية الخفية)، و ذلك تعبيراً عن تحكم أقليات نافذة في عملية صنع القرار بالدول الديمقراطية مباشرة، و بغيرها بصورة مباشرة وغير مباشرة أيضا.

ثالثا: تراجع القيم الديمقراطية بتراجع المنظومة القيمية الداعمة للديمقراطية في ظل انتشار ثقافة الكراهية وخطاب التطرف وعدم قبول الغير وتصاعد العنف في مواجهة الاقليات والمهاجرين وانتشار ممارسات التهميش والاستبعاد الاجتماعي لبعض القطاعات المجتمعية وهو ما ارتبط بصعود التيارات القومية واليمينية والتغير في تفضيلات الرأي العام في الدول الغربية.

رابعا: التركيز في الإنتخابات من أجل حسم التنافس الإنتخابي لتعزيز فرص السياسيين في الحفاظ على مناصبهم زيادة على إعتماد سياسات قصيرة المدى لإسترضاء الناخبين مما نتج عن ذلك عدم توفير إصلاحات إقتصادية وإجتماعية تتطلب مدة طويلة مثل إصلاح التعليم أو إعادة هيكلة الإقتصاد .

خامسا: التحولات التكنولوجية السريعة وتأثيرها على التفاعلات السياسية بوساطة تقنيات تحليل حزم البيانات الضخمة واستخدامها في تصميم إعلانات للتأثير بتوجهات الناخبين وإستغلال وسائل التواصل الإجتماعي في التضليل المعلوماتي ونشر الأخبار الكاذبة زيادة على تأثيرات المجال الإفتراضي بتوجهات الناخبين وترسيخ الإنقسامات الحادة والإستقطاب السياسي والإجتماعي .

و ختاما نقول: إن المسائل المتعلقة بالمسارات البديلة للديموقراطية أثارت جدالاً واسعاً عن كيفية إصلاح الديمقراطية والبدائل التي يمكن بوساطتها تجاوز مدة الانحسار الممتدة وفي صدارة هذه الاتجاهات ما جاء في كتاب روبرت دال عن" حكم العديد" ويقصد به التوفيق بين الديمقراطية التمثيلية ونفوذ النخب الإقتصادية والإجتماعية بدمجهم في العملية الديمقراطية وايجاد مسارات شرعية للتأثير السياسي.

وعلى الرغم من الإنتقادات المتزايدة التي تعرض لها روبرت دال و أطروحاته ، فإن المطالبة بإعادة هيكلة الديمقراطية قد تزايدت في الآونة الأخيرة وفي صدارة من إهتموا بذلك كتاب دامبيسا مويو بعنوان : (حافة الفوضى: لماذا تخفق الديمقراطية في تحقيق النمو الإقتصادي وكيف يمكن إصلاحها؟)،

فكان هناك العديد من الرؤى للنخب المستنيرة في مواجهة الجماهير الأقل تأهيلاً كما يقول دامبيسا مويو ، و لذلك طالب بنظام جديد للتصويت موضحا معايير لتقويم تأهيل المرشحين والناخبين زيادة على تقييد التمويل السياسي للحملات الانتخابية وفرض التصويت الإجباري وإطالة أمد المدد الإنتخابية.



الثورة وإستخدام "الشارع"
(الدلالة الرمزية لإستخدام الشارع في الحراك العام)

د.مأمون طربيه
باحث واستاذ جامعي في علم الاجتماع

«تظاهروا كما تشاؤون ولكن لا تخرجوا إلى الشوارع والميادين» هذا ما قاله ذات يوم الرئيس الليبي معمر القذافي، الذي كان يعي جيداً معنى الإستعمال السياسي للشارع من قبل المواطنين، لهذا لم يسمح في الخروج إلى الشوارع إلاّ عند الإحتفاء به و بثورته، وهذا يؤشر ما للشارع من دلالات رمزية فهو بالتأكيد لا يُقصد به كمجال جغرافي خالص، بل بما يمثله من مجال احتجاجي مثقل بالتفاعل، فالشارع باعتباره فضاءً عاماً لا بد أن يتجاوز مدلوله المكاني (رصيف للمشاة وممر للراكبين) الى معانٍ ثقافية ورمزية تجعل منه مصدرا تفاعليا بين جماعة حراك أو تظاهر مطلبي أو حشود مستنكرة، صحيح أن الشارع «فضاءٌ عام مفتوح للجميع في أماكن العبور ولكن أهميته تكمن في كونه يتحول في لحظات ظرفية إلى فاعل في بناء المفاهيم والتصورات والمواقف وفضاءً تعبيريا محتضناً للعلاقات والإتصالات والتفاعلات».

وقد يصبح أكثر من ذلك عندما يحمل معاني سياسية تحيل على المطالبة بالتغيير بوساطة حراك وحشد جماهيري، فالمواطن في أي مجتمع لا يستغني عن الشارع لإسماع صوته المخنوق أو المقموع أو المقهور وبذلك يصبح للفضاء العام (والشارع منه) الإستعمال السياسي الشعبي؛ و في الدول السلطوية يرحب بالشارع تمجيداً للزعيم أو احتفاءً ببعض الإنتصارات، لكن هذه الدول لاتقبل



استعمال الشارع عند التظاهر والإحتجاج على سياستها اللاشعبية.

وفي لبنان وعلى مر السنوات الماضية كانت الحياة السياسية على سخونة دائمة ظهرت معها «حالة المزاج التعصبي المنعكس في صورة «مع» و»ضد» على وفق معادلة الإصطفاف بين أطراف تتخاصم عسكرياً أو سياسياً، أو في أماكن يشوبها التوتر الإجتماعي والإقتصادي المتأزم، وقد تبرز هذه المعادلة في أوقات ما عند الأزمات السياسية العابرة تجاه أحداث محلية أو اقليمية معينة، فيتوّلد في الشارع شارع بموقف ما ، وفي المقابل ربما يظهر شارع بموقف مضاد له، و فيها ترفع الشعارات والشعارات المضادة»؛ وفي أغلب صور الحراك كان الشارع في بعده الرمزي ينشطر إلى شطرين متواجهين، في شطر ما هناك جماعة رافضة لرموز السلطة وسياساتها، وفي مواجهته

شارع السلطة القامع، وفي حالات التظاهر كذلك يبرز شارع غاضب متمرد على وضع قائم، ليقابله شارع آخر يتمثل بجماعة «الضد» التي تحمل على المتظاهرين و تتهمهم بـ «مؤامرة» حراكهم المشبوهة، ولعل بمتابعة ما حدث على مواقع التواصل وقنوات الإعلام وحراك الشارع في وسط بيروت وتحديداً ما حدث على جسر الرينغ (بيروت) يكرس فرضية وجود شارعين في معانيهما الرمزية. ففي البعد الرمزي كان الشارع مثل «هايد بارك» لندن، ومجالاً وسائطيا للتعبير وإيصال الرسائل، وفي البعد الآخر كان الشارع وسيلة ضغط على السلطة بوساطة تعطيل حركة المرور وإعاقة أعمال المؤسسات، وهذا ما استغله مناهضو الحراك وأخذوا ينعتون المتظاهرين بأنهم «قطاع الطرق»، و نتيجة من ذلك فإن الشارع اللبناني أزاء مغزى الحراك اللبناني الأخير (المنطلق منذ ١٧ تشرين الأول) إنشطر و إنقسم إلى شارعين: شارع يعتبر حراكه ثورة حق لتغيير نهج ونظام؛ وشارع معارض له يعتبره إستهدافاً للعهد وبأن من يقومون ويقفون وراءه إنما هم جماعة ينفذون مخططات خارجية .

و في لحظات التأزم السياسي أو الإقتصادي أو المعيشي يغدو الشارع في فضاءاته العامة السبيل الأبرز لتصريف الغضب وأفقاً نضالياً للمطالبة بالحقوق والإحتياجات، وهذا ما لآحظناه على الأقل في صورة الحراك العربي في أكثر من دولة، إذ لم يكن الشارع فقط مسرحاً لعبور الناس أو مكاناً للتبضع والبيع، وإنما بات يحمل معاني سياسية تدعوا إلى المطالبة بالتغيير، لأن إستخدام التعبير في الشارع باعتباره إسلوباً احتجاجيا ليس إلاّ دليلاً قويا على فشل ادوات الترهيب والترغيب من السلطة في القمع، وعلى فقدان الثقة برموز الدولة ومؤسساتها كالبرلمان والأحزاب والنقابات وباقي الهيئات التي تحمي الدولة و سلطتها.



لأن مفهوم المجال العام والذي يعتبر الشارع منه هو المساحة التجريدية التي يتناقش فيها المواطنون وجماعات من المجتمع ويتجادلون بشأن مختلف القضايا والإهتمامات العامة، وعلى وفق هذه الرؤية و انطلاقا من هذا المفهوم فإن الشارع هو المجال العام و ساحة تتمتع بالإستقلال الذاتي عن الحكومة وعن القوى الإقتصادية أيضا، حيث يمكن تكريس التعبير و إفساح المجال للمهمشين في أن يعبروا عن آرائهم وهواجسهم وآلامهم على مسمع من السلطة وأجهزتها بلا خوف منها، والشارع مجال يسهل الوصول إليه ومفتوح لكل المواطنين.

و في إستخدام الشارع كوسيلة ضغط هو صورة من صور سقوط جدار الخوف وإن المواطن الذي عانى طويلا من القمع والقهر والحرمان لم يعد لديه ما يخسره أو حتى ما يربحه ، ولهذا صار الشارع ميداناً لإسماع صوت المواطن المتظاهر؛ فالنزول إلى الشارع أو الإعتصام فيه أوالتجمهر في أماكن منه، يخلق الحدث ويؤجج الإنفعال ويمهد للتفاعل مع ما يحدث؛ بل تتضح معاني التظاهر في الشارع ودلالاته إلى أبعد من ذلك، بأن يصبح النزول و التواجد الجماعي في الشارع مجالا حاملا الرسائل المعلنة والمشفرّة في أن المتظاهر المنتفض لم يعد قادراً على تجرع المزيد من مرارات الظلم والقهرو إستبداد السلطة و مساوئها، وما الشارع سوى السبيل الاخير لمواجهة التسلط بالإحتجاج والتحدي والمواجهة.



لبنان في عين العاصفة

بقلم: الأستاذ يوسف الورداني
كاتب - لبنان

في لبنان كان القرار الذي أصدره وزير الإتصالات محمد شقير، والقاضي بفرض رسوم على خدمة «الوتس-أب»، هو اللحظة التي نزل فيها الشعب اللبناني بكل أطيافه وطوائفه وأحزابه وتياراته إلى الساحات، من عكار إلى صور ومن المصنع إلى ساحة رياض الصلح، مطالبين بوقف الفساد ومحاسبة الفاسدين، واسترجاع الأموال المهربة إلى الخارج بالتواطوء مع حاكم مصرف لبنان وجمعية المصارف، والتي استبقت قيام الإنتفاضة ربما بأيام، وكان شعار المحتجين «كلن يعني كلن» دافعاً لأن توحد الطبقة السياسية جهودها، في تصديها للإنتفاضة بغية شيطنتها وإفشالها كما جرت العادة فاستخدمت بوجهها كل الأساليب حتى اللجوء إلى القوة من قبل الثنائي الشيعي في صور والنبطية، لكن الإنتفاضة صمدت ونجحت في إسقاط حكومة الحريري فارضة نفسها كمعطى ثابت في المتغيرات المرتقبة.

اليوم يطوي اللبنانيون سنتهم على معطى أزمة لم يشهدوا لها مثيلاً فيلجون عامهم الجديد بدون حكومة تتولى إدارة شؤون البلاد، لا بل فإن تشكيل الحكومة تنتابه صعوبات بالشكل والمضمون أما بالشكل فهو ناتج عن التجاذبات القائمة بشأن توصيفها وتوزيع الوزارات، وأما المضمون فناتج عن كون البرنامج الذي تطرحه الحكومة في بيانها الوزاري لن يكون هذه المرة خاضعاً لتوليفة سياسية تحكمها قواعد تدوير الزوايا والأبعاد الثلاثية للنص، الذي يقرأه كل فريق من زاويته.

إن ثورة تشرين هي متغير فرض نفسه، عاملاً ضاغطاً على البنية السلطوية، إذ لم يعد من السهل تجاوز تأثيراته نظراً للمشروعية الشعبية التي إنطوت عليها حزمة المطالب التي رفعها الشارع، والتي هي بالأساس حقوق حرم منها الشعب أو حجبت عنه بفعل أداء سلطة حكمت أطرافها قواعد المحاصصة الطائفية فإذا كان القيمون على إعادة التشكيل السلطوي يظنون أن إطلاق الوعود التي تحاكي مطالب الشارع فإن ظنهم ساقط.

إن الانتفاضة الشعبية التي أضافت إلى المادة ٦٩ من الدستور بنداً جديداً هو اعتبار الحكومة مستقيلة إذا سحبت منها الثقة الشعبية، أصبح لها الحق في أن تكون طرفاً في التكليف، ومن ثم في التأليف شكلاً ومضموناً. أما عن علاقة إنتفاضة الشعب اللبناني فيما سمي «ثورة تشرين»، بالخطط الأميركية، وخلق الفوضى في غير بلد، كما ما جاء في تصريح السفير الروسي ببيروت، فإن الإدارة الأميركية أصرت وتصر على أن تكون حربها على حزب الله اللبناني، في سياق مواجهتها المفتوحة مع طهران، إذ ليس مصادفة أن تنتفض بيروت

وبغداد وطهران معاً، ثم ليس مصادفة الصمت الدولي والخليجي إزاء ما يحدث في لبنان تحديداً، إذ جرت العادة أن تطلق مبادرات أو إسداء نصائح أو إعطاء تعليمات لمن يلزم، أو تقديم مساعدات مالية لتجاوز ما يعانيه لبنان و كل ما سمعنا عنه هو مبادرة فرنسية خجولة و زيارة بيروت قام بها دايفد هيل الذي لم يكن في جعبته سوى البلوك رقم ٩، وطلب تسوية الوضع مع الكيان الصهيوني، بينما دول الخليج في صمت القبور.

و لم تشعر السلطة المتسلطة أن في الأفق مخاضاً عسيراً سيعيشه لبنان في المستقبل المنظور، سواء على الصعيد الداخلي إقتصادياً و معيشياً، أو على صعيد ما يحضر لنا من مخططات غربية وبموافقة عربية.

ولعل السلطة مطالبة اليوم بقراءة ما قاله المحلل الاستراتيجي في شؤون الشرق الأوسط، دايفد باترسون عن تعرض لبنان في القادم من الأيام إلى ثلاث عقوبات:



١-يمنع على لبنان أن يكون بلداً نفطياً.

٢-ممنوع على لبنان المشاركة في إعادة إعمار سوريا.

٣-سيبقى لبنان ساحة مفتوحة للصراع الأميركي-الإيراني.

اذن علينا جميعاً أن ندرك أن الأيام القادمة ستكون فاصلة في حياة اللبنانيين ليس فقط على الشعب بشرائحه الواسعة، و إنما أيضاً على الذين لم يستوعبوا حقيقة ثورة السابع من تشرين أول. غير مجد الترف السياسي لأن لبنان اليوم في عين العاصفة.



انتفاضة العقول ام البطون

كتابة:صفاء لولو



بين حقوق الطّوائف ومظلوميّة كلٍّ منها ضاعت حقوق المواطن والمواطنيّة في بلدٍ كلبنان دائم التوتر، و نراه من الناحية السياسية و الطائفية كأنه يمشي فوق صفيح ساخن ، فما زالت عبارات حقوق المسيحيّين، و الطّائفةً الإسلاميّة المغبونة، و هواجس الأقليّات والقلق الوجودي و..و..حتّى صارت جزءاً من هويّتنا وأدبيّاتنا في كلّ ما يتعلّق بشؤون حياتنا كمواطنين.

و من الملاحظ أن النظام السياسي في لبنان فريد من نوعه على مستوى العالم. و قد بات اليوم مأزوما بسبب المظاهرات الحاشدة التي اندلعت مؤخرا فيه، وامتدت من جنوب البلاد إلى شمالها. حيث آلاف الحناجر هتفت و ما زالت تهتف ضد السلطة و فساد الحكام، فصفق بعضهم لهذا الحدث واصفا إياه بالثورة أوالإنتفاضة التي طال انتظارها، فيما إعترض آخرون و رفعوا أصابع إتهامهم نحوالمشاركين معتبرين أنهم مندسون، مأجورون من قبل السفارات، أوأنهم مضللون و قد غرر بهم... فما الذي حدث بالتحديد و مازال مستمرا في لبنان ؟ هل هي بداية النهاية لنظام المحاصصة الطائفي؟ أم أن بلاد الأرز قد وقعت في فخ يدفعها نحو الفوضى، و يعيد المشهد المخيف للحرب الأهلية؟ أسئلة لا اتفاقَ ولا حتى توافقْ على إجاباتها، لكنّ ما حصل أكد تصفية و إنهاء العديد من المحرمات التي حكمت العقليات اللبنانية لعقود مضت،

فالمعلوم اليوم هو أن ما جرى في شوارع لبنان وساحاته ساهم بقصد وبغير قصد بجمع اللبنانيين. و من الشعارات المرفوعة كان أبرزها «كلّن يعني كلّن» و «فليسقط هذا النظام»، أما المطالب

فقد كانت مطالب حياتية محدّدة، كمطلب حكومة إنتقالية، وصلاحيات تشريعية إستثنائية لتمكين الإقتصاد، وتوقيف الهدر، واسترجاع المال المنهوب، واخيراً وليس آخراً إنتخابات نيابية مبكرة .

و إزاء هذا الواقع نحن أمام ثورة موصوفة، لكن عندما ينتظر الثوار الإستجابة و المبادرة من السلطة فإنهم يتصرّفون كإنتفاضة مطلبية، وحين يرفض المتظاهرون قيام لجان تنسيق تمثلهم و تطالب بحقوقهم في وجه السلطة، فمظاهراتهم تعد أيضا إنتفاضة مطلبية.

والسؤال الذي يطرح نفسه من هم الفاسدون ومن يهدر المال العام إذا لم تكن أحزاب السلطة و أزلامها؟

ومن يغطي هذه المنظومة الفاسدة غير مجلس نواب يمثّل أحزاب السلطة؟

فبأي منطق يأمل بعضهم بأن يقوم رجال السلطة و أحزابها بقبول التخلي طواعية عن مناصبهم و إلغاء إمتيازاتهم؟

فهل يُعقل أن الثورة تنتظر من السلطة أن تقدم على الإنتحار؟

كل هذه الاسئلة وغيرها تدور في بال المواطن، لكن مما لا شك فيه إن قواعد اللعبة قد تغيرت في لبنان ، فسبب إندلاع هذه التظاهرات غير المسبوقة يمكن القول أنه يعود لثلاثة عوامل،

الأول: أنها غير حزبية وحتى الحزبيين الذين يشاركون فيها نراهم يتخلون عن شعارات أحزابهم.

و العامل الثاني :هو أن هذه التظاهرات متساوية من حيث الحجم في كل المناطق اللبنانية، فليس هناك منطقة لم تشارك في التظاهر،

أما العامل الثالث: الذي يميز هذه التظاهرات من سابقاتها هي أنها تطالب الإطاحة بجميع رؤوس السلطة بدءا من رئيس الجمهورية، و إذا استقال من منصبه رئيس الحكومة سعد الحريري، إلاّ أن باقي المناصب ما زال أصحابها في أماكنهم من دون تغيير.

وبعد مئة يوم على إستقالة الوزارة ولدت الحكومة الجديدة، لكنٍ استمرار قطع الطرق من قبل الثوّار يُعد تعبيراً عن رفضهم لما اعتبروه حكومة «تكنو- محاصصة»، حيث ضمّت الوزارة الجديدة ممثلين عن أحزاب السلطة تحت مسمّى وزراء اختصاصيين، و لهذا السبب فإن الشعب قد لا يمنحها الثقة، لأنها ربما تقوم بتنفيذ خطة معدة مسبقاً لمصلحة جهات معينة !! و ليس لمصلحة عموم الشعب اللبناني كما هو مطلوب من أي حكومة .

ومن المؤسف أن السلطة لا تعي إلى الآن حقيقة ثورة الشارع بإعتبارها نتيجة تأزم المعيشة وغلاء الأسعار بعد رفع الدولار، وإقفال عدد كبير من المؤسسات الإقتصادية و تعطلها عن العمل، مما أدى إلى البطالة و زاد نسبتها في لبنان لأعلى مستوياتها، بينما السلطة الحاكمة مشغولة بتوزيع المصالح بموجب محاصصة طائفية، مما قد يؤدي إلى ظاهرة خطيرة هي تفلت أمور البلاد عن زمامها.

و في ظل هذه الأوضاع الحالية و إنعدام الإستقرار، توجهنا ببعض الأسئلة لإستطلاع الرأي عن ثورة ١٧ تشرين، لمعرفة مطالب وأفكار الشباب بشأنها ،

و كانت البداية مع الطالبة عزة في الصف الثاني الثانوي التي قالت:»الأسباب الحقيقية للثورة المندلعة في لبنان اليوم ليست إجتماعية فقط، وإنما هناك شعور للفرد اللبناني بفقدان كرامته الإنسانية، وفقدان الكرامة يحصل بعدة وسائل، منها حرمان اللبناني من أبسط حقوقه الأساسية، من مياه وكهرباء وبيئة نظيفة وشبكة انترنت ونظام صحي متقدم ونظام تعليمي يتماشى والتطور الحاصل في العالم على أكثر من

صعيد، كذلك ما تقوم به البنوك من إنتهاك للحرية المالية للعملاء بفرض القيود على السحب وعلى التحويل» .

و من جهة أخرى أكد محمد صاحب محل تجاري ،»أن فقدان الثقة بالطبقة السياسية الحاكمة أوقعنا في شائعات تمّ تحويلها كوارث إقتصادية فعلية على الرغم من الإعلانات الرسمية التي تحاول الطمئنة من حين لآخر، ففي حين يُطالب الشباب بهامش اكبر في صنع القرار، وبقوانين جديدة لتنظيم شؤونهم الإقتصادية والسياسية، وتوظيف يقوم على الكفاءة، تقوم أحزاب السلطة بتقسيم المواطنين فئات طبقية ومذهبية وتوظفهم باستخدام الوسائل التقليدية والعنفية بهدف إحكام السيطرة على الجميع».

أما الطالب طارق في السنة الجامعية الثانية فقد قال: وصل الوضع إلى ما وصل إليه لإنتفاء العدالة في لبنان، إذ من دون عدالة لا حرية ولا كرامة للمواطن، ولا حقوق مضمونة له. فإنعدام العدالة هو الذي جعل الفساد يستشري بالإدارات كلها وبالمجتمع كذلك، كما أن الجريمة، أياً كان مرتكبها، عادة ما يلتف عليها بعض القضاة بدوافع مختلفة، وبالتالي فالقاضي الذي يماليء المتهم أياً كان، ولأي سبب ، هو شريك في الجريمة، بل إن جريمته أفظع. و هنا نؤكد القول إن القضاة الشرفاء في لبنان ما انفكّوا، منذ الأربعينيات، يطالبون ويلحّون في طلب ضمان إستقلالية القضاء. و هذه المطالبة لهؤلاء القضاة هي الدليل الدامغ على عدم تمتّعهم بالإستقلالية الواجبة و يفتقدون الضمانات التي توفّرها.»

أما المعلمة زينب فإنها تأمل و توافق على الإكتفاء بأنصاف الحلول «من مثل حكومة هجينة، ومساءلة لشخصيات الصف الثاني أو الثالث، ولا ترى حاجة لإنتخابات نيابية مبكرة، بل التحضير بكل الوسائل للتغيير بوساطة الإنتخابات النيابية القادمة، للدخول الى الحكم بالطريقة التقليدية.والإ تنظيم الحراك وهيكلته - ولو بطريقة مطاطة غير مركزية- بهدف المضي قدماً بالثورة، ومما يتوجب على هذا الخيار مسؤوليات كبرى على مستوى الداخل اللبناني وعلى مستوى العلاقات الخارجية بالدول الفاعلة إقليميا و دوليا. ولكن النقطة الأهم هي كيفية المحافظة على البيئة الشعبية الحاضنة للثورة في ظل مواجهة تصاعدية مع السلطة».

وعند سؤالنا الطالب خليل في الصف الثالث الثانوي ماقولك بشأن الرأي الذي يريد تعيين قادة للثورة يتحدثون بإسمها وتنفيذ مطالبها ؟

أجابنا قائلا:»ما نراه حتى الآن يظهر فشل أهداف ونتائج من أراد ركوب الموجة في الداخل والخارج، ونهوض ثورة لا قادة لها تحقق يوما بعد يوم انتقالا نوعيا للدولة اللبنانيّة نحو دولة منتجة مزدهرة بعيدا عن الأشخاص نحو دولة السيادة، مما يؤكد أنه ولو بعد حين ستتضح الرؤية عسى أن يقتنع أصحاب القرار.» وفي هذا قول للكاتبة والناشطة الإجتماعية سهير أومري «ان الثورات ليست مؤسسات ولا شركات تختار موظفيها، هل رأينا في حياتنا ثورات تعلن عن وظائف شاغرة تشترط على شاغليها أن يكون لديهم مثلاً خبرة (٥) سنوات بقيادة الثورات وزعامتها، أو إتقان فنون قيادة الجماهير وتوجيه الوعي العام، أو إجازة جامعية في إشعال الثورات على الطغاة والديكتاتوريات ؟! إن الثورة تصنع رموزها «.

وعن عدم تفاؤلها تحدثت الطالبة ضحى – ماجستير- بعد مشاهداتها ما يحصل من تراشق بين المتظاهرين والقوى الأمنية، وبين ما يفتعله بعضهم حتى يجعل الإشتباك بين شارع مقابل شارع، أو ما تفعله ميلشيات الأحزاب من قمع المتظاهرين السلميين أمام مؤسسات الهدر.

فالأخت ضحى ترى أن ما يجب علينا فهمه هو الموازنة بين إرادة فرد من جهة ما و باقي الأفراد من جهات أخرى، و ذلك عند التعبير عن وجهات نظر كل طرف بطريقة التجمع والمسيرة، وبين واجب المحافظة على سلامته وممتلكاته وإرادة

الجمهور للمحافظة على النظام والأمن العام.

فمن دون نظام لا مكان للحرية، إذ أن حرية التجمع و التظاهر لا تعني التخلص من كل متطلبات الحفاظ على النظام العام، وحرية المسيرات لا تعني حرية الإضطرابات، كما علينا الحذر من المندسين وأن نحرص على أن تبقى الثورة كما بدأت سلمية، كما أننا نطالب الجيش بحماية المتظاهرين، إذ أننا نحترم ونجل جيشنا على أن يبقى لجميع اللبنانين ومعهم .

أما بالنسبة لإغلاق الطرقات وهل يجدي نفعا ، فبعضهم أيد ذلك للضغط على السلطة بشلّ الحركة الإقتصادية للبلد، ومنهم من إعترض، كطالبة الهندسة - ليال - التي وضحت وجهة نظرها بالآتي:»الثورة مستويات وقطع الطرقات كان مستوى أولا، و قد أنتج ثماره. أما الآن وقت الخطوات الجدية كمساعدة الناس بأخذ حقها والإعتصام أمام المرفأ والضمان والميكانيك والسراي وتحريك دعاوى قضائية و..و..أما قطع الطرقات بصورة عامة، و في البقاع خاصة، فليس له في هذا الوقت تأثير سلبي بالسلطة أو إيجابي بالثورة..إن الثورة وعي وتخطيط».

و عندما سألنا الطالب بكرعن رأيه، بدأ حديثة بالإستشهاد بقوله تعالى (إِنَّ اللهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ)، فعندما نعيد إنتخاب الطبقة والموافقة على قانون إنتخابي مستنسخ لا يمت للعدالة النسبية بصلة، فنحن مسؤلون أيضاً عما يجري من تدهور في جميع المجالات، ولن ننهض إلا إذا انتخبنا بالإستناد إلى قانون إنتخاب نسبي قائم على منهج العدالة والنزاهة والكفاءة، بعيدا عن الزعامات المذهبية التحريضية ذات المصالح الخاصة مع الإحتفاظ بالمعارضة حتى تتم المحاسبة والرقابة .

فلقد ظهر جليا إنحياز الناس إلى أولويّة تحديدٍ جديد للعمل السياسي، وتمثيلهم في الحُكم، زيادة على كشفهم الفساد، وتأكيدهم على محاسبة



المسؤولين عنها، وإسقاطهم سِمات الحرب الأهلية، فضلاً عن رصدهم لوسائل تخريب ثورتهم مع تفعيل ماكينات تعطيل هذه الوسائل، وإهمال كل تدخّل إقليمي أو دولي.

ثم تحدثنا و الشيخ زياد هيفه – إمام وخطيب مسجد محمد الأمين – في برالياس، و سألناه أن يبين لنا رأيه بما آلت إليه ثورة ١٧ تشرين ؟وهل في إغلاق الطرقات ما يشكل وسيلة ضغط على السلطة الحاكمة ؟وما هي الوسائل التي يجب على الحراك أن يعتمدها لتحقيق جميع المطالب التي من أجلها إنتفض اللبنانيون؟

فكان رد الشيخ زياد التالي: «السلام عليكم ورحمة الله وبركاته اولاً: تحية للثائرين على الفساد والمفسدين في كل مكان لاسيما في وطننا الحبيب لبنان، و لن يضيع حقٍ وراءه مطالب، لكن من قلبٍ صادق ، وحرصاًعلى نجاح الثورة وتحقيق أهدافها أقول للثائرين إن الفساد لا يغير بفساد مثله، فالأمن مطلب الكثيرين، بل مطلب العالم كله. وحياة بلا أمان لا تساوي شيئاً، إذ كيف يعيش الإنسان في حالة لا يأمن فيها على نفسه أو ماله أو ممتلكاته.

و لنتذكر أن سيدنا ابراهيم عليه السلام عندما

دعا ربه قال : (رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَداً آمِناً وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ ...)، فقد طلب تحقيق الأمن قبل أن يطلب الرزق لأهله، لأن بلداً لا أمن فيه لا تستقيم للناس أرزاقهم فيه، فيا من خرجتم من أجل لقمة العيش وثرتم من أجل كرامة المواطن لا تؤذوا الناس فيتحولون ثواراعليكم، و عندها تنطفىء شعلة الثورة، فالناس فيهم الفقير، والعاجز، والمريض والمسكين فلا يجوز أن نقطع الطرقات عليهم، كما إن إماطة الأذى عن الطريق صدقة كما في الحديث الشريف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإذا كان الأمر كذلك فإن وضع ما يؤذي المارة في الطريق، يمكن إعتباره من الإساءة والعصيان، ومن أسباب اللعنة والخذلان، عن أبي سعيد الخدري أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:

(لا ضرر ولا ضرار)

وفي الحديث: لقد رأيت رجلاً يتقلب في الجنة في شجرةٍ قطعها من ظهر الطريق كانت تؤذي المسلمين. فإذا كان لا بد من أساليب للضغط على المسؤلين الفاسدين ومنها قطع الطرقات، فلتكن أمام مؤسساتهم وشركاتهم التي أنشأت من أموال الشعب الفقير، ولتكن الإعتصامات أمام المؤسسات الحكومية التي يستغلها هؤلاء الفاسدون.

و بعد مئة يوم مضت على الثورة في لبنان لا بد من النقد البناء لتصويب مسار الثورة والمصارحة بأن إقفال الطرقات على بعضنا لم تكن الوسيلة الناجحة لأن الفاسدين الزعماء يتنقلون بمواكبهم بدون أي إعاقة و لا تأثر، ونصيحة أخرى للثوار ربما لا يمكنكم تسمية شخص يتكلم بإسم الثورة، ولكن بالتأكيد يمكنكم أن تضعوا أهدافا تتفقون عليها يعبر عنها كل ثائر في أنحاء وطننا، عشتم وعاشت الثورة ليعود لبنان بلداً آمناً معافى ومزدهرا».



و أخيراً نشكر جميع الأخوة و الأخوات على ما أبدوه من الآراء، و الذين بمشاركتهم أغنوا هذا المقال، ولا شك أن الحقبة المقبلة، هي حقبة شدّ الحبال بين السلطة المخذولة والثورة، ومن الصعب التكهن بما سوف يحصل. ولكن من المؤكد أن هذه الثورة وهذا الحراك ليسا كما سبقهما، فلأول مرة منذ ثلاثين عاما يقف الشعب بوجه السلطة هذه الوقفة المباركة و القوية. و نحن نرى أن الإنتصار ممكن أن يكون بأوجه مختلفة، إما تحقيق الإصلاحات بالقوة، أو إنتاج طبقة سياسية جديدة. وفي الحالتين فإن الشعب هو المنتصر. والملفت للإنتباه شعار الثورة المطالبة بـ (إستعادة الأموال المنهوبة)، حيث انه أكثر شعار ومطلب شعبي يُحرج الطبقة السياسية الحاكمة، وسوف يؤدي حاليا وفي المستقبل إلى نزاعات داخلية بين اركانها.

وعلى الثورة أن تركز بكل قوة على هذا المطلب الذي قد يؤدي إلى تغيير فعلي وإسترداد جزء من حقوق المواطن اللبناني. و نختم بالقول إن النصر للثورة و لشعب لبنان العظيم بإذن الله.



الصدق

كتابة: د. علي أبو غنيم
إمام وخطيب - لبنان

موضوعنا في هذا اليوم عن الصدق، فالصدق يهدي إلى البر والصدق طريق موصل إلى الجنة.

فما هو الصدق؟

ان الصدق هو مطابقة الخبر للواقع، ولقد دعا الإسلام إلى الصدق وحبب فيه ورغب في آيات تتلى في القرآن الكريم، وفي أحاديث قالها النبي الكريم سيدنا محمد -صلى الله عليه وسلم.

فمن الآيات التي دعت إلى الصدق وحثت عليه قول الحق - سبحانه وتعالى -: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ} (التوبة: ١١٩) وقال تعالى: {إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا} (الأحزاب: ٣٥).

أما الأحاديث في الصدق فهي كثيرة؛ منها قال - صلى الله عليه وسلم-: ((عليكم بالصدق فإن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة، ولا يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقًا؛ وإياكم والكذب فإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، ولا يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابًا)) رواه البخاري وغيره.

وإن الصدق دعت إليه كل الرسالات ونادى به جميع الرسل؛ فهو خلق الأنبياء والصالحين، ومما تمدح به السيدة مريم أم سيدنا عيسى - عليه السلام - أنها صديقة قال تعالى: {مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ انظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ} (المائدة: ٧٥) فالأخلاق الكريمة واحدة في كل الشرائع، الصدق هو مطابقة منطوق اللسان للحقيقة، وبمعناها الأعم مطابقة الظاهر للباطن.

فالصدق مع الله بإخلاص الأعمال كلها لله تعالى.

والصدق مع الناس أن لا يكذب المسلم في أقواله وأفعاله مع الآخرين.

و الصدق خلق نبيل فاضل دعت إليه كل الشرائع السماوية في كتبها على ألسنة رسلها، ثم جاء الإسلام فأكد على هذا الخلق النبيل في كتابه الكريم، وعلى لسان سيد الأولين والآخرين رسول الإسلام والسلام سيدنا محمد - عليه الصلاة وأفضل السلام.

الصدق مع الله، والصدق مع رسول الله، والصدق مع النفس، والصدق مع الناس؛ إن الصدق بكل أشكاله وألوانه دعا إليها الإسلام ورسول الإسلام، روى الإمام البخاري - رحمه الله تعالى - بسنده عن عبد الله بن مسعود - رضي



الله عنه - عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: عليكم بالصدق؛ فإن الصدق يهدي إلى البر.

إن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- دعا إلى الصدق وعدم اتباع الظن والأوهام، بل يجب أن يكون المسلم صادقًا مع نفسه يسعى إلى اليقين ويعيش حياته باليقين ومع اليقين لقد قضى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- الذي لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى؛ قضى بأن الظن أكذب الحديث وحذر المسلمين منه؛ لأن عاقبته وخيمة قال -صلى الله عليه وسلم-: ((إياكم والظن؛ فإن الظن أكذب الحديث، ولا تحسسوا ولا تجسسوا ولا تناجشوا ولا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخوانًا))[٤].

ومن أبرز صفات رسول الله - صلى الله عليه وسلم- قبل مبعثه أنه عرف بالصادق الأمين؛ كان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- صادقًا في حديثه، صادقًا في تجارته، صادقًا في كل أحواله؛ وهذا الصدق هو الذي جعل هرقل يجزم بأنه نبي الله حق ، وأنه النبي المنتظر، وأنه سيملك موضع قدميه، وأن الخير كل الخير في اتباعه؛ إذ قال لأبي سفيان: هل يكذب محمد في حديثه معكم؟ قال أبو سفيان: لا، قال هرقل: ما كان ليذر؛ أي ليترك الكذب على الناس ثم يكذب على الله.

والصدق مع النفس هو أن المسلم الصادق يعترف بعيوبه وأخطائه ويصححها.

علينا أن نتقي الله في أقوالنا وأعمالنا حق التقوى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ).[آل عمران ١٠٢]

[١] _ السنن الكبرى للبيهقي (١٠/ ٤١٦) و رواه مسلم في الصحيح عن محمد بن مثنى , ومحمد بن بشار.

[٢] _ مسند أحمد ط الرسالة (٢٥/ ٧٠).

[٣] _ الآداب الشرعية والمنح المرعية (٢/ ١٠٣).

[٤] _ مسند أحمد ط الرسالة (١٦/ ٢٤٣)



الطفل الذكي

كتابة: د.ربى الشعراني
أستاذة جامعية - لبنان

يمتلك الطفل الذكي مفاهيم أكثر من الأطفال العاديين الذين في مثل سنه، وهي أكثر تحديداً وأفضل دلالة لدى الأذكياء منها لدى الأطفال العاديين ومن دونهم، وهذا يعني أن النمو العقلي والفكري لا يتوقف على الجهود التي يبذلها الطفل، وإنما يضاف إلى ذلك دور القدرات الذهنية الفطرية التي يمتلكها، فالطفل الذكي يستوعب ويحفظ ويحلل ويطور، ويستخدم ما يقرأ ويسمع ويرى على نحو أفضل مما يفعله الطفل العادي. ودماغ الطفل ينمو في الحجم والوزن ويستجيب للتحديات والمواقف الجديدة التي نقدمها إليه وبالتالي، علينا إدراك النقاط التالية:

- حين يحاول الطفل لمس شيءٍ معلق يصعب الوصول إليه، حين يميز بين الأشكال ويجد صعوبة... ففي هذه اللحظة تتكون داخل الدماغ ممرات كهربائية جديدة لتحمل وسائل حل للمشكلة، وهنا ينمو العقل.

- تنمو عقول الأطفال بوساطة ألعاب الذكاء والأنشطة الإيجابية مثل القراءة. أما مع الأنشطة السلبية مثل مشاهدة التلفاز... فإنها تفقد المحفز وتبقى من دون نمو ملحوظ.

- من هنا يجب الإعراض عن تقديم الأبناء والتعامل معهم بناء على ما نعتقده مما موجود لديهم. والعمل على إثراء البيئة التي نوفرها لهم، و على الإكثار من التدريب على التفكير بالوسائل المختلفة.

ومن أهم الأساليب التي يجب أن يتبعها الأهل مع أبنائهم:

- الحوار والمناقشة وتشجيعهم على القراءة وزيارة المكتبات والمعارض والمتاحف.

والقراءة من العادات الأساسية والمهنية التي يجب أن يعتاد عليها الطفل من الصغر فالطفل المحب للعلم وهو صغير سيظل يستمتع بالتعلم وسيرقى بفكره ويبدع. لذلك يجب أن نحث الأطفال على التعلم ونبعدهم عن التلفاز قدر المستطاع.

- إصطحاب الأطفال إلى المكتبة مرتين في الشهر وجعلهم يختارون الكتب بأنفسهم وحين يختارون كتاباً غير مناسب نكون الموجه لهم فقط.

- لابد أن يكون لدى كل أسرة مكتبة منزلية صغيرة يساهم في تأسيسها جميع أفراد الأسرة.

- قبل معرفة الطفل بالقراءة يجب أن نقدم نحن بالقراءة له وهذا يمكن أن يبدأ والطفل في سنه الأولى ويجب توضيح للطفل ما يتم القراءة له وذلك لتأسيس عاطفة الإرتباط بالقراءة والكتاب ويجب أن تكون الكتب المختارة فيها القيم الحميدة والمناسبة لعمر الطفل.

- حين يصبح الأطفال قادرين على القراءة يجب تشجيعهم على الحديث عن الأشياء التي يقرأونها وربط محتوى القصة بالقيم والمباديء التي من الواجب التحلي بها.

- إقامة جلسات حوارية أسبوعية أو نصف شهرية تقوم على التحدث عمّا تتم قراءته.

و للعلم فإن لدى كل واحد من الكبار نقاط قوة ونقاط ضعف، والأطفال كذلك يملكون النقاط السلبية و الإيجابية أيضا، وما على المربي سوى تعزيز نقاط القوة لدى الطفل والكشف عن نقاط الضعف ومحاولة إصلاحها.

والحمد لله رب العالمين



في ذكرى رحيل سماحة المفتي الدكتور أحمد اللدن

كتابة : د.أسماء القادري



ثلاثة حروف فقط، سهلة النطق لربما ولكنها تقع من القلب في الصميم..رحل العالم..رحل المفتي.. الشيخ..العالم..الدكتور، رحل أجل لقد رحل..

قد يبدو الموت سهلاً حين نردده في مجالسنا من دون رهبة أو وجلٍ، كلمة تخبرك عن ضيف سيحلّ بك على الرغم منك، ومن دون تحديد لموعد الزيارة، ستراهم فجأة يبكون الراحل، و يحملون صوره وقد يرثونه، وأنت ما زلت لا تصدق غيابه، وحتى دموعهم لن تؤكد لك هذا الرحيل..هذا حالك ترقبهم وعلامات الحيرة تغلف قلبك..سنتان مرت على رحيلك يا شيخي، وما زلت أتساءل عن غيابك، هل هو مجرد حلم سنستيقظ منه بعد حين أم أننا حقاً نرفض الموت وهو واقع بيننا.. إنه الموت، تستوطن أوجاعه في ثنايا الروح، وقد لا تبرحها..رحل المفتي اللدن وكأن رحيله كان البارحة.. يا شيخي لا تليق بكِ كلمات النعيِ فحين أستذكر وجهك لا أجد إلاّ وجهاً باسماً متفائلاً فكيف تليق كلمات الحزن بهذا الوجه الملائكي..

لم نجد من يملأ مكانك المعتاد هنا في دار الإفتاء..وهناك في أروقة الأزهر وبين طلاب عرفوا حماسك وحبك للعلم، تسكبه بقالب الفكاهة حيناً وبروح الفقيه حيناً آخر، حتى المسجد الذي تعود على صوتك لم يألف غيرك، فمن سيراجع حفظه للقرآن بين جنباته في موعد ثابت قد يتخلله من يتلهف لمساعداتك للفقير والمحتاج، و للمظلوم

في قاعات المحاكم.. لا نرثي العلماء، بل نرثي أرواحنا الجافة في رحيلهم..

صمت بارد وحسب، كل ما حولنا يوحي بالذبول عند الفقد، لطعم الرحيل مرارة يخطف البسمة وهو محطة ليستدرك المرء أيامه ويشعر من حوله بأهميتهم في حياته..إنه الرحيل بل الغياب المطلق، الذي يَحُزُ بالفؤاد، لا يكتفي ولا يعرف التردد..و تطل علينا الذكرى بين زوايا العتمة، فهل للذاكرة أن تنعشنا ببعض الصور والمواقف علّها محطات مضت تجلب شيئاً من السلوى..

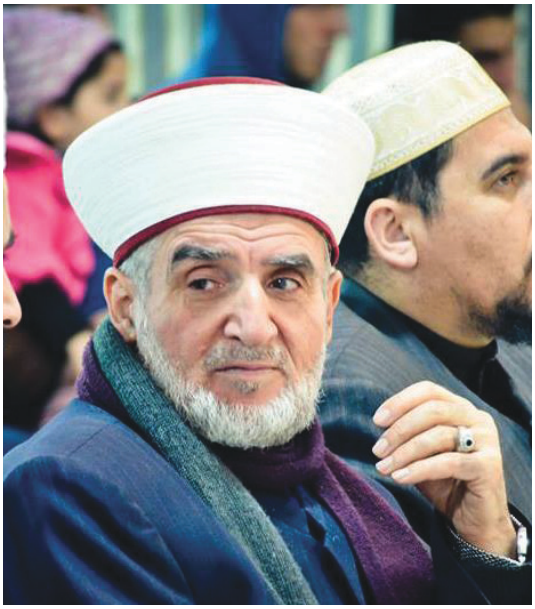
ان للموت رهبة أيها الراحلون، وليس لنا من بعدكم إلاّ بعض الذكريات في محطات قد ترهق الروح وقد تُضحك وقد تبكي..إنه الموت الحقيقة الأبدية الوحيدة في هذه الدنيا حين يقدم بلا تردد، يختارنا واحداً إثر آخر .. «لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون».

عرفنا الآن أن الموت ليس أجسادا تغيب، وإنّما هناك عالم آخر تعبر إليه بحسناتك وسيئاتك..فهل تأهبنا لهذه اللحظات..ان الموت مجهول زيّفه الأحياء وتعوذوا منه؛ لأنهم تشبثوا بالحياة..

و هم يقولون عن الموت أشياء لم يختبروها، في حين يبقى الموت غامضاً غريباً، وها أنت قد عرفته وتتمنى لو تحدثهم عنه..فابتسامتك تعلو ثغرك وتستغرب حزنهم لرحيلك.. إنها نهايتك في هذه الدنيا أجل ولكنها بداية الخلود..يا شيخي رحلت، و غاب جسدك لكن الحياة خلفك ما زالت مستمرة، فالشمس ما زالت تشرق، والأيام مازالت تتوالى والزمن لم يتوقف بعد..

وما زالت تصلك حصيلة أعمالك من علم ينتفع به، وصدقات جارية، ودعوات صادقة لم تقتصر على ولد صالح بعدما اعتبرك الجميع بمثابة الوالد والعالم..

أيها الراحلون.. للموت وحشة كما له مرارة وألم وشعور بالغ بالفقد، لماذا يثير الموت هذه الرهبة



الكبرى؟ ولماذا نبكي الراحلين وقد امتدت بهم حقب أخرى لمحطات أخرى انتظاراً لحياة أخرى، ونحن سائرون إليها شئنا أم أبينا؟..

إننا في الحقيقة نبكي أنفسنا..نبكي تقصيرنا..نحن إذن من يجزع لأن الراحلين انطفأت شموعهم في حياتنا، ولأن رحيلهم إعلان كبير بأن قطار العمر ماضٍ.

رحيلك يا شيخي رحيل لكلمة الحق التي تقال بدون مبالاة، رحيل للعلم والفقه..رحيل للشاعر الفنان برسمه وخطه.. رحيل للتواضع والبساطة والود والحبور..وغياب للخطب الارتجالية القوية بصداها وبفصاحتها..للعالم الرباني الزاهد الراضي المبتسم دوماً..

يا شيخي إن فقدك كبير ولن يملأ هذا الغياب إلاّ من تأسى بأمثالك وأخلص لهذه الأمة..

إن روحك وما علمتنا إياه سيبقى بعد رحيلك من هذا العالم الذي ربما لا يناسب طيبة ودفء قلبك، و أراك تحيا الآن بصحبة الفقهاء والسلف الصالح، تنهل من علم أبدي وفردوس يطيب به فؤادك إن شاء الله.



يا ربى الفيحاء

للشاعر محمود حسن إسماعيل

وفق الله على النور خطانا
والتقت في موكب النصر يدانا

وحدت شمس الضحى أعلامنا
وانبرت في الشرق تحيي المهرجانا

لا تسل عنا ولا كيف لقانا
واسأل التاريخ عنا والزمانا

نحن كنا مهجة واحدة
ودما حرا وروحا وجنانا

بارك الله خطانا وسرت
صيحة الفجر فلبينا الاذانا

ومضينا في طريق واحد
يتغنى الدهر فيه بعلانا

عربي أشعلت أمجاده وحدة
تجري حياة في دمانا

يا ربا الفيحاء حيتك العلا
والبطولات رحابا وجنانا

هذه أيامنا قد رجعت
سيرة للمجد يرويها هوانا

في صباح الشرق عدنا امة
مثلما كنا على الدنيا وكانا



قل و لا تقل

بقلم: الدكتور مصطفى جواد
علّامة وأستاذ لغة عربية - العراق

قل: أمره فأطاع أمره و أذعن له، وائتمر بأمره. و لا تقل: انصاع لأمره.

و ذلك لأنّ «انصاع»، بمعنى انفتل راجعاً، و مر مسرعاً و نكص نكوصاً سريعاً، و بمعنى تفرق، و بمعنى ذهب سريعاً، و كل هذه المعاني لا تدل على الطاعة والإذعان والائتمار، قال ابن فارس في المقاييس:»الصاد و الواو والعين أصل صحيح، و له بابان أحدهما يدل على تفرق و تصدع، و الآخر إناء، فالأول قولهم: تصوعوا إذا تفرقوا، قال ذو الرمة:

عسفتُ اعتساف الصدع كل مهيبةٍ
تظلّ بها الآجال عنّي تصوُّ

و يقال: انصاع القوم سراعاً: «مروا». و قال الجوهري في الصحاح:صنعت الشيء فانصاع أي فرقته فتفرق و منه قولهم: يصوع الكمي أقرانه إذا أتاهم من نواحيهم... وانصاع: أي انفتل راجعاً و مر مسرعاً و التصوع: التفرق.....و قال الزمخشري في أساس البلاغة: يحوذهم... و منه انصاع القوم إذا مروا سراعاً. و عقب الأزهري على التفسير القديم قال:»و معنى الكمي يصوع أقرانه أي يحمل عليهم فيفرق جمعهم». و قال الفيروز آبادي في القاموس:»انصاع: انفتل راجعاً مسرعاً.

هذا ما ذكره اللغويون الذين ذكرناهم و من سواهم من معاني «انصاع» و ينبغي لنا أن نبحث عن الواقع اللغوي لهذا الفعل، فلعل فيه ما



يفيد الطاعة و الانقياد، والائتمار والإذعان، قال أبو ذؤيب الهذلي، يصف الثور الوحشي:

فانصاع من حذرٍ فسدّ فروجَه
غضف ضوار وافيان و أجدعُ

قال أبو زيد محمد بن أبي الخطاب القرشي في جمهرة أشعار العرب:»انصاع: انحرف». و نحن نعلم أن الانحراف ضد الطاعة والإذعان، و قال الأخطل التغلبي:

فانصاع كالكوكبِ الدُّري ميعته
غضبان يخلط من معجٍ و إحضارِ



قال أبو زيد أيضا:»انصاع: انحرف». فأكد قوله السابق، و قال ذو الرمة:

فانصاع جانبُه الوحشيّ و انكدرت
يلجن لا يأتلي المطلوب و الطلب

و قال أبو زيد:»فانصاع أي انحرف». و هذه المرة الثالثة التي يفسر فيها الفعل المذكور بكلمة واحدة بعينها.

و نعود إلى استعمال «أطاع»، بدلاً من «انصاع»، فنجده صواباً و نلفي أطاع من الوضوح بحيث يكون شرحه من تحصيل الحاصل، و كذلك الائتمار، و يبقى «أذعن» قال ابن فارس في المقاييس:»الذال و العين و النون أصل واحد، يدل على الإسراع و الانقياد، يقال أذعن الرجل إذا انقاد، يذعن إذعاناً، و بناؤه ذعن إلا أن استعماله «أذعن» هو الراجح و يقال ناقة مذعان: سلسة الرأس منقادة». و جاء في لسان العرب

قال الله تعالى: (و إن يكن لهم الحق يأتوا إليه مذعنين)، قال ابن الأعرابي: مذعنين: مقرين خاضعين و قال أبو إسحاق جاء في التفسير: مسرعين، قال: و الإذعان في اللغة الإسراع مع الطاعة، و قال الفراء: مذعنين: مطيعين غير مستكرهين، و قيل: مذعنين منقادين، الإذعان الانقياد، و أذعن الرجل: انقاد وسلس» إنتهى. و ذكر استعمالاً آخر إلا أن المعنى العام هو كما ذكرنا آنفاً: الإسراع مع الطاعة، مع أن الانصياع إسراع و انحراف، و نكوص و مرور سريع فلا يشعر بالطاعة، جاء في كليلة و دمنة قوله تعالى:»بما يدعوه إليه من طاعته و الإذعان لدولته»، فقل، أطاع أمره و ائتمر به، و أذعن له إذعاناً، و لا تقل: انصاع لأمره.



الحوكمة

بقلم: الأستاذ كمال الدين حسين العفش
محاضر جامعي

مصطلح الحوكمة هو ترجمة من الإنجليزية إلى العربية لكلمة تدل على معنى الحكم ، وهي بالأصل كلمة تستخدم في السياسة ولكن وفي أواخر القرن الماضي أصبحت تتداول في الإقتصاد ، وهي في اللغة العربية أقرب إلى مصطلح الإدارة الرشيدة .

وإستخدم البنك الدولي مصطلح الحوكمة في بداية تسعينات القرن العشرين للدلالة على عمليات المساءلة والمحاسبة المطلوبة إثر إزدياد معدلات الفساد وسوء الإدارة في مشروعات سبق للبنك الدولي أن دعمها في بعض الدول النامية، ثم قام مجمع اللغة العربية المنعقد في القاهرة في العام ٢٠٠٢ بإقرار هذا المصطلح الجديد، موضحاً بأنه عبارة عن مجموعة من العمليات الضرورية والهياكل تهدف لتوجيه وضبط المؤسسة وتحديد وتوزيع الحقوق والواجبات بين الشركاء الرئيسيين في المنشآت بما في ذلك ضمان فهم المساهمين وأعضاء مجالس الإدارة والمدراء لهذه العمليات التصحيحية .

وعرفها الإتحاد الدولي للمحاسبين بأنها مجموعة من المسؤليات والممارسات التي يقوم بها مجلس الإدارة والإدارة التنفيذية للحوكمة من أجل تحقيق الأغراض التالية:

- تأمين السياسات الإستراتيجية وتوجيهها .
- العمل على تأكيد وضمان تحقيق أهداف المنشأة.
- التأكد من صحة صيغة إدارة المخاطر.
- تطبيق الرقابة للتأكد من الإستخدام الأمثل والمسؤل لموارد المنشأة.

أما الأمم المتحدة و في برنامجها المخصص للتنمية UNDP

فقد وسعت مفهوم الحوكمة ليشمل إدارة كل شؤون المجتمع، من ممارسات للسلطات السياسية والإقتصادية والإدارية ومن ثم قدم هذا البرنامج تطويرا لمفهوم الحوكمة في العام ٢٠٠٤ قضى بإعتبارها نظاماً للقيم والسياسات التي تدير المجتمع وشؤونه الإقتصادية والسياسية والإجتماعية بوساطة التفاعل بين كل من الدولة والمجتمع المدني زيادة على القطاع الخاص.

مباديء الحوكمة:

انها مباديء أساسية تعتمدها الحوكمة لضمان أفضل تطبيق لها وتعزيز جودتها بغية تحقيق الأهداف على الوجه الأمثل ويمكن إجمالها فيما يلي:

الشفافية : والتي تتضمن معرفة المواطنين بقرار حكومتهم ويقصد بها تمام الوضوح وبيان كامل الحقيقة وكذلك الإنفتاح والتخلي عن الغموض أو التضليل وجعل كل شيء قابلا للتحقيق والرقابة ويشتمل معنى الشفافية مفهوم النزاهة.



المشاركة : وفي المعاملة المتساوية لكل الأطراف وكل ذلك يقتضي تحديد شروط وأحكام وقنوات الإتصال والجداول الزمنية والإحترام التام لحق الوصول إلى المعلومات وتعيين آليات المشاركة بغية تحسين مستويات الأداء.

المساءلة : وتتأمن هذه العملية بضمان محاسبة الجهات مقدمة الخدمات وفي مقدمتها القطاع العام (القطاع الحكومي) على وفق سياسات واضحة وفعالة تؤمن ممارسة درجة عالية من الرقابة وتضمن بذلك صياغة واضحة للقواعد والإجراءات التي تحكم وظيفة الرقابة ومنع إستحواذ الإدارة التنفيذية لآليات مضادة للمساءلة .

سيادة القانون : وتعني إمتثال كل الأطراف من مؤسسات وأفراد وقطاع عام لأحكام القانون والسعي الدؤوب لتطبيقه أمثل تطبيق.

العدالة بما في ذلك تعزيز مبدأ تكافوء الفرص وإتاحتها للجميع على قدم المساواة مما يزيد الشعور بالإنصاف ويبعد الإستشعار بالظلم والغبن.

مكافحة الفساد: وتشتمل على منع المسؤول من إساءة إستخدام السلطة التي قد تحقق له مكاسب خاصة على حساب الآخرين وتتعدى ذلك إلى ضرورة إحترام البيئة وحقوق الإنسان ومكافحة الرشوة وتبييض الأموال.

الكفاءة: وتعني إنجاز الأعمال والمهمات في أقل وقت ممكن و بتكلفة مناسبة بما يتفق والفاعلية والجدارة التي تكفل الحصول على أجود الخدمات وإعتماد السياسات التي تحظى برضا المواطن .

الإستجابة : ويدخل ضمن هذا المفهوم السعي لتأمين إستجابة الحكومة والمجتمع المدني والقطاع الخاص لرغبات وإحتياجات المواطن.

وبالنتيجة فقد تعاظم الإهتمام بمفهوم الحوكمة سواء على مستوى الدول و خاصة الشركات التي واجهت موجات من الإنهيارات الإقتصادية وأزمات مالية ، حيث ازدادت الحاجة للحوكمة مع شيوع العولمة وتحرير العديد من الأسواق المالية وتحول كثير من دول العالم إلى نظام الإقتصاد الحر ، مما يدفع بإتجاه إستدراك وتخفيض الأحجام المعتمدة لتحسين الأداء.

ويمكن مما سبق إعتبار الحوكمة على أنها عامل رئيس من بلورة القواعد والإجراءات لدى الإدارة وهي تلك المتعلقة بصنع القرار بقصد تحقيق المستوى الأمثل من الفحص والضبط والرقابة وتعزيز ثقافة المسؤولية والمساءلة والشفافية والنزاهة، وصولاً إلى مجتمع الرفاه والرخاء والتقدم واللحاق بركب الحضارة.



متلازمة الأيض

بقلم: الدكتور يوسف قريشي

طبيب أعصاب
رئيس الجمعية العربية لمكافحة المخدرات

مفهوم الأيض: هو مجموعة من التفاعلات الكيميائية في خلايا الكائن تحافظ على الحياة.

وللأيض أهداف رئيسية منها:

تحويل الغذاء إلى طاقة لتشغيل العمليات الخلوية، وتحويلها إلى وحدات بناء للبروتينات والدهون والأحماض النووية وبعض السكريات، وإزالة الفضلات الأيضية النيتروجينية،وهذه التفاعلات تحفزها أنزيمات تسمح للكائنات في النمو والتكاثر.

وعملية الأيض هي إحدى العمليات التي تحدث في جسم الإنسان والكائنات على وجه العموم، وهي المسؤولة عن إنتاج الطاقة في داخل خلايا الجسم عن طريق هضمها في داخل الجهاز الهضمي، وتحويلها إلى أشكال الطاقة المختلفة عن طريق مرورها بسلسلة من التفاعلات الكيميائية. كما أن عملية الأيض تعتبر العملية التي يتم من خلالها بناء الخلايا المختلفة والأنسجة وهدمها.

وظيفة الأيض: إن الوظيفة الرئيسة للأيض هي توفير الطاقة اللازمة أو السعرات الحرارية المطلوبة للقيام بوظيفة الجسم أو الحفاظ على الوظائف الحيوية، والأيض منظم ومدبر الطاقة. وكلما زاد وزن وحجم الجسم، زاد معدل الأيض لديه؛ فإن الإنسان الذي يملك كتلة عظمية أكبر يقوم جسمه بالأيض بشكل أكبر ، كما أنه يختلف باختلاف الجنس. فالذكور بشكل عام يكون معدل الأيض لديهم أكبر من الإناث.

طريقة حدوث الأيض: تقسم عملية الأيض إلى قسمين رئيسيين هما:



١-الهدم: ويتم خلالها تكسير المواد الغذائية وتحويلها إلى أشكال الطاقة المختلفة بحسب حاجة الجسم، و الى الطاقة الحرارية عند الشعور بالبرد. أو الطاقة اللازمة لحركة الإنسان عند ممارسة الرياضة أو غيرها.

٢-البناء: حيث تقوم الخلايا باستخدام باقي المواد الغذائية الناتجة عن عملية الهدم من أجل بناء مختلف أنواع الخلايا وأنسجة الجسم وتقل هذه العملية مع التقدم في عمر الإنسان. وهناك الكثير من العلامات المرضية التي تشير إلى إضطرابات الأيض و هي شائعة أبرزها داء السكري من النوع الثاني و السمنة البطنية، و زيادة ضغط الدم، وإضطرابات دهنيات الدم، و هذه تتميز من ارتفاع مستويات ثلاثي الغليسيريد، و إنخفاض مستويات



الكوليسترول الجيد، وارتفاع في مستويات الكوليسترول السيء، وإرتفاع حمض البوريك في الدم، و إفراز كميات كبيرة من البروتين في البول، و الزيادة في تخثر الدم، وإضطرابات في عمل البطانة للقلب والأوعية الدموية.

ولكن لا تحدث هذه الأعراض عند المصاب، و ربما يظهر قسم منها فقط ، كما إن بعضها يتخفى أو لا يظهر مطلقاً على الرغم من الإصابة بمرض ما. والإصابة بالمتلازمة الأيضية تحدث أضرارا بالأوعية الدموية الكبيرة والشرايين التاجية و تسبب فشل القلب، وكذلك السكتات الدماغية، ابتداء من النوبات الخفيفة العابرة وحتى النوبات الخطرة القاتلة. أما القاسم المشترك بين جميع ظواهر هذه المتلازمة فهو ظهور حالة متواصلة من مقاومة الأنسولين. فمقاومة الأنسولين تكون مصحوبة بارتفاع نسبة الأنسولين في الدم مما يؤدي على مرالسنين إلى ظهور عدد كبير من أعراض الإصابة بالمتلازمة، ويمكن أن تسبب تصلب الشرايين، والسمنة، وزيادة ضغط الدم.

كيف يمكن الوقاية من متلازمة الأيض الغذائي أو الحد من حدوثها؟

١- تخفيف الوزن.
٢- تغيير النظام الغذائي.
٣- ممارسة التمارين الرياضية.

ويستطيع الإنسان زيادة معدل الأيض في أوقات الراحة، كما أن الدراسات وجدت أيضاً أن بعض الأطعمة تقوم برفع معدل الأيض، كالشاي الأخضر، والفلفل الحار، حيث تعمل محفزا على حرق الدهون بتسريع عملية الأيض وزيادة نبضات القلب، والحمضيات: فيتامين سي، و القهوة: فالكافيين يعمل على زيادة نشاط الجسم وزيادة عملية الحرق، و خل التفاح. لذا ننصح باعتماد هذه الوسائل و تناول هذه الأطعمة للمحافظة جهد الإمكان على صحة أفضل.

نترككم بحفظ الله



في الوطن و الوطنية

لا خيرَ في وطنٍ يكون السيفُ
عند جبانِهِ والمالُ عند بخيلِهِ
والرأيُ عند طريده والعلمُ
عند غريبِه والحكمُ عند دخيلِهِ
وقد استبدّ قليلُهُ بكثيرِهِ
ظَلَماً، وذلّ كثيرُه لقليلِهِ

الشاعر معروف الرصافي

الوطن قبل الروح لأنه مقر راحتك.

مثل حبشي

جميل أن يموت الإنسان من أجل وطنه، و أجمل منه أن يعيش لأجله.

مثل من المجر

الرجل الأمين أينما حلّ، فهناك وطنه، و الخائن غريب حتى في وطنه.

مصطفى النحاس

مثلُ من باع بلاده و خان وطنه، مثلَ الذي يسرق مال أبيه ليطعم اللص، فلا أبوه يسامحه، ولا اللص يكافأه.

نابليون بونابرت

و للأوطان في دم كل حرٍ
يَد سلفت و دَينٌ مستحق

الشاعر أحمد شوقي

وطني تقدس ذكره و تباركت
أسماؤه الحسنى بكلّ قصيدِ
هومعقـلٌ لـنبـوة و لـشـدّة
وكتاب مجدٍ عن جدود صيدِ
ومناط آمال الرجال وكعبة
خفقت لها الأكباد عن توحيدِ

الشاعر عدنان مردم

الوطنية خدمات، و ليست كلمات و أقوال لا معنى لها.

الفرنسي بو مارشيه

قسماً بأهلي لم أفارق عن رضا
أهلي وهم ذخري و ركن عمادي

لكن أنفت من الحياة بموطني
عبداً و كنت به من الأسيادِ

فوزي المعلوف

EDZ
Electricité de Zahlé

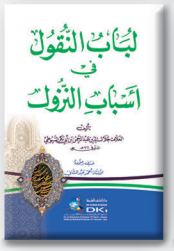


بدنا نبقى عَ ضـو
الضوّ بـدو إنتـاج

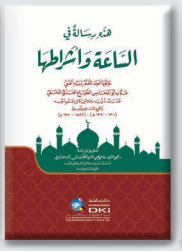
شركة كهرباء زحلة

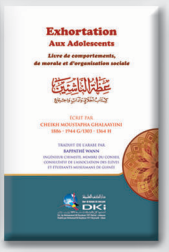










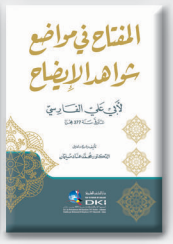














اللغات التي تنشر بها: العربية والفرنسية والإنكليزية والإسبانية

عدد الإصدارات لتاريخه: أكثر من ٧٥٠٠ عنوان كتاب

عدد الإصدارات السنوية: أكثر من ٣٥٠ عنوان كتاب جديد

هاتف: 12 / 11/ 804810 5 961+ ـ فاكس: 804813 5 961+
ص.ب: 9424 ـ 11 بيروت ـ لبنان رياض الصلح ـ بيروت 2290 1107
e-mail: sales@al-ilmiyah.com ـ info@al-ilmiyah.com
www.al-ilmiyah.com

